19me, année No 939
Le Caire 2 — 7 — 1951

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون
ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن هذا العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٩٣٩ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٨ رمضان سنة ١٣٧٠ — ٢ يوليه سنة ١٩٥١ — السنة التاسعة عشرة »

هل الأدب قد مات ؟ !

— ١ —

للأستاذ سيد قطب

يقول لك الكثيرون : أن نعم ! ويمصمصون شفاههم أسفا وحسرة ، وهم يعدون لك شواهد الموت ، ويصفون لك أمراض الوفاة ، ويترحمون على الأيام القريبة التى كان للأدب فيها صولة وجولة ، يوم أن كان حياة فى ذاته ، وكان مبعث حياة !

وما أريد أن أدفع عن الأدب تهمة الموت ، فقد تكون حقيقة ؛ ولكننى أريد أن أبحث عن القتلة ! القتلة الذين فعلوا هذه الفعلة ، والذين هم ماضون فيها للقضاء على الأنفاس الأخيرة التى تتردد فى تلك الجثة المسجاة !

إنهم فى نظرى ثلاثة :

الأدباء أنفسهم بمعرفتهم الشخصية وعلى عهدتهم !

والمدرسة المصرية بمعرفة وزارة المعارف العمومية !

والدولة كلها بمعرفة وزارة المالية ووزارة المواصلات !

هؤلاء هم المتهمون الثلاثة الذين خنقوا ذلك الأدب المسكين ، حتى سقط جثة هامدة ، والذين لا يزالون يخنقونه ليلفظ الأنفاس الأخيرة التى ما تزال تتردد فى خفوت !

فكيف كان ذلك ؟

٭ ٭ ٭

فأما الأدباء فهم الذين انصرفوا كلهم أو معظمهم عن الإخلاص للأدب وللعمل الأدبى ؛ لأن هذا الإخلاص يكلف جهدا ومشقة ، ويكلف عزوفا عن شىء من الكسب المادى ومن فرقعة الشهرة الكاذبة . إنه يكلف صبرا على التجويد ، وجهدا فى الإخراج ، ومعظم الأدباء — وبخاصة الذين كانوا يسمون الكبار — قد جرفتهم الحرب وما كان فى إبانها من رواج فى النشر ، فانهالوا على السوق بإنتاج سريع « مسلوق » لأن هذا الإنتاج السريع يحقق لهم أرباحا مادية عاجلة ، ويعفيهم من جهد البحث وأمانة العمل ، ويضخم فى الوقت ذاته قائمة مطبوعاتهم فى نظر الجماهير

وقد أقبلت الجماهير عليهم فى أول الأمر . ولكنهم شيئا فشيئا جعلوا يكررون أنفسهم ، بل يهبطون عن مستواهم . . إنهم راحوا يجترون ما اختزنوه ولا يضيفون إليه شيئا ، ولا يضيفون للحياة الأدبية ولا للحياة الإنسانية جديدا

وكان الكثيرون من أدباء الصف الثانى قد أخذوا ببريق الشهرة التى ينالها المشهورون المكثرون ، فركضوا كذلك فى الطريق ؛ وباتت المطبعة وأصبحت فإذا هى تساقط على رءوس القراء كتبا أقلها قيم ومعظمها هراء ...

واستيقظت فطرة القراء القلائل بطبيعتهم فى العربية ، فإذا

الإعراض والجفاء عن هـذا المكرور المعاد من أعمال الأدباء ، وعن الأدب كله عند كثرة القراء !

وصاحب هذا ركود حركة النقد الأدبي ، النقد الذي يزيف الزائف ، ويستبقي الصحيح . والذي يخلق في الجو الأدبي حيوية ونشاطا وتطاما وأخذا وردا ودفعة إلى الأمام

والذي بقي من النقد انتهى إلى أن يكون أضحوكة ومهزلة ، فلقد تألفت شبه نقابات أو عصابات ، كل نقابة منها أو عصابة موكلة بالدعاية « لمنتجات الشركة » التي تنتمي إليها بطريقة مفضوحة مكشوفة ، لا تخفى على ذوق القارئ ، ولا تزيد على أن تقتل الثقة في نفسه بما يكتب وما يقال !

وامتدت هذه النقابات إلى دور الصحف والمجلات ، فسكرت كل منها في مجلة أو صحيفة ، وأصبح محرما على أي كتاب لا ينتمي صاحبه إلى « شلة » معينة أن يجد له من صفحات تلك المجلات والصحف نصيبا .. وبهذا أطبق البلاء على النقد وعلى الأدب سواء

وأعجب العجب ما سمعته أخيرا من أن بعض المساهمين في مجلات أو صحف من المؤلفين والناشرين ، يرون أن هذه المجلات والصحف لا يجوز أن تنشر عن مؤلفاتهم إلا الحمد والثناء ، وقد ذهب أحدهم غاضبا محتجا لأن مجلة يساهم هو فيها ماليا قد نشرت نقدا لعمل مهلهل من أعماله !

وبذلك تحولت الصحف الأدبية — في هـذا المجال — إلى مكاتب إعلان ودعاية لأصحابها والمساهمين فيها . ولم يكن بد للقراء أن يدركوا هذا فينفروا من المجلات الأدبية ومن الأدب والأدباء !

* * *

وأخيرا فقد تخلى معظم الأدباء عن هـذه الأمة في كفاحها للحياة والبقاء ، بل خانوها خيانة علنية واضحة

إنني لا أؤمن بتجنيد الأدب والأدباء لخدمة الأغراض القريبة ، والصراع الاجتماعي ، في فترة محدودة ؛ ولكني أؤمن بأن الأديب الذي لا يحس آلام أمته القريبة أو البعيدة هو أديب ميت لا يتجاوب معه الأحياء

فإذا لم يستطع الأدب أو لم يرد أن يشارك في المعركة الحاضرة فله هـذا ، ولكن على أن يهتف للانسانية بأشواقها البعيدة وأهدافها الكبرى التي قد تجاوز هذا الجيل ، وتتخطاه إلى آفاق أعلى من الصراع في فترة من الفترات

وأعتقد — من تجاربي الخاصة — أن الجماهير قد أقبلت وما تزال تقبل على نوعين من الإنتاج :

نوع يشاركها ، في كفاحها الحاضر ، ويستمد منها وعدها ، ويتجاوب مع حاجاتها الموقوتة بهذا الصراع

ونوع يحدو لها بآمال المستقبل ، ويهتف بها إلى مدارج البشرية العليا ، ويفتح لها كوى من النور في الظلام

وإني لأعتقد أن هذا الإقبال دلالة على سلامة وعي هـذه الأمة وفطرتها — على قلة القراء فيها وندرتهم — وأنها محقة في إهمال ذلك الركام المكرور التافه الذي تخرجه لهـا كثرة الكتاب والمؤلفين ، وبخاصة أولئك الذين كانوا يوما ما يلقبون بكبار الأدباء !

ولست غافلا عن إقبال الجماهير في الجانب الآخر على غثاء القصص والروايات والأفلام والصحافة ؛ فذلك اللون يغذي الجانب الهابط في النفس البشرية . وللانسانية جانباها ؛ وجذبها بخيط الصعود ممكن كجذبها بخيط الهبوط

وحين لا تجد الأمم من أدبائها الجادين من يلبي حاجة روحها ، أو حاجة عصرها ، فهي معذورة حين تنكب على المخدرات التي تقدمها تلك القصص والروايات والأفلام !

* * *

ونسيت الشعر المسكين ، وما رزأتنا به المطبعة في هذه السنوات الأخيرة من ركام يتفاخر أصحابه بضخامة الحجم و كثافة الوزن ، ويستعينون بصداقاتهم وبوسائلهم الخفية على الخروج به على الناس في غير ما خجل ولا حياء !

لقد نظر أحد أصدقائنا إلى ديوان من هذه الدواوين ، وقد اكتنز شحما ولحما ، وهزل معنى وروحا ، ثم قلبه في يديه وقال : قديما كان يقال : حمار شغل . فها نحن أولاء قد عشنا لنرى : حمار شعر !

وفي هذا الجو تختنق روح الشعر ، أو الأنفاس المترددة في

جو الكظيم . ويكره الناس الشعر والشعراء ، وينفرون من مجرد رؤية الدواوين ، فضلا عما تحتويه من نظم !

° ° °

وما من شك أن قلة من البحوث وقلة من الروايات والقصص ، وقلة من الدواوين والقصائد ، قد أخرجت للناس في هذه الفترة وهي تستحق البقاء ، وتستحق الاستجابة ، وتستحق الانتباه

ولقد لقي معظمها ما يستحقه في نفوس الناس من تقدير وإقبال. والذي خانه الحظ فلم يعرف طريقه إلى الناس، إنما جنت عليه غفلة النقد في هذا البلد ، ومؤامرات النقابات والعصابات ، وسوء ظن القارئ بالطبعة والمجلة والنقد في هذه الأيام

ولو نهض المخلصون من النقاد ، ووجدوا من الصحافة الأدبية مشجعا لتطهير الجو من هذه الميكروبات السالبة فيه ، لاستطاعوا أن يستعيدوا ثقة القارئ بالنقد الأدبي ، تلك الثقة التي قضت عليها العصابات والأوكار !

وإني لأعتقد أن صفحات « الرسالة » لن تضيق بالنقد الحر المخلص ، إذا أقبل به أهله في جرأة وفي إخلاص

° ° °

ذلك نصيب الأدباء في جريمة قتل الأدب . فأما نصيب المدرسة ووزارة المعارف ، ونصيب الدولة كلها ممثلة في وزارة المالية ووزارة المواصلات ، فوعدي بها قريب إن شاء الله

سيد قطب

موقف لكفار بدر

ليت زعماءنا يتدبرونه !

للأستاذ عبد الحكيم عابدين

لا تكاد تنتصف أيام الصيام حتى تظلنا من رمضان أحفل ذكرياته بمواكب المجد ، وأغنى أيامه بمواقف البطولة ، وأوفر مجاليه إشراقا بصور الفداء والتضحية . وحسبك بذكرى (بدر) بلاغا إلى كل ما يصقل الروح من معاني العبرة ، وما تستشرف إليه النفس من جلال الفكرة . « ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون »

بيد أني آخذ نفسي اليوم بنهج في تحليل جانب من الذكرى أرجو ألا يثير الانفراد به حفيظة أهل الرأي، وآمل ألا يعقب غرابة السبق إليه ازورار المتزمتين في تصور قداسة الدين . فحسبي — متى أخلصت القصد — أن أبوء بثاني الأجرين ، وما توفيقي إلا بالله

إني إذن مهيب بك أيها القارئ الأثير أن تشاطرني جولة في ربوع مكة وقد استنفرت صناديد قريش لقتال محمد صلوات الله عليه ، ثم تقدمني السير إلى رحاب القليب حيث تراءى الجمعان والتقى العسكران، وإنك لسابق حينئذ إلى استخراج منازل الفضل التي ندعو إليها زعماء اليوم — لا من معسكر الصحابة فذلك ما لا خلاف في روعته وجلاله ، بل من معسكر الكفر على ما عرف من بغيه وضلاله !

إي وربي لأقمن زعماء العصر أن يقتدوا بما سجل التاريخ من رجولة كفار بدر ، ولهم إن فعلوا ثناء الناس وحمد التاريخ ، وأنا بهما زعيم. هذه قريش في البيض واليلب، قد هبت لثأر أبي سفيان حين استصرخها لنجدته ضمضم بن عمرو « يامعشر قريش اللطيمة ! اللطيمة ! إن أموالكم مع أبي سفيان قد أحاط بها محمد وأصحابه ، لا أظن أن تدركوها» ولكن قريشا لا تكاد تستكمل أهبتها للمسير حتى يوافيها أبو سفيان قد استطاع أن يفلت بمحاذاة الشاطئ فسلم من حصار محمد. وسلمت لقريش التجارة والعروض ، وانقضت بذلك حاجة مكة إلى قتال المدينة . وهنا لا يقنع صناديد مكة المناوير وفتيان قريش الصيد بالاستجابة لداعي السلام ، بل «يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا» وتملى لهم شياطين الكفر علوا واستكبارا ، فيأبون أن يضعوا اللامات ، أو ينزعوا العصابات ، حتى يبلغوا من القتال كما توهموا الإجهاز على محمد ودعوته ، ويفضوا من الحرب إلى إعلان مجد

قريش وعزتها « وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لـكم اليوم من الناس وإنى جار لـكم »

وتتداعى حماسة الثائرين إلى لواء زعيم الصلف والفظاظة أبي جهل فيصوغ مشاعرهم صرخات موحشة « والله لا نرجع حتى نأتى بدرا فنقيم عليها ثلاثا ، نشرب الخمور ، وننحر الجزور ، وتعزف علينا النساء ، وتسمع بنا وبمسيرنا العرب فلا يزالون يهابوننا أبد الدهر »

بيد أن صوت العقل لا يضل طريقه وسط هذا الضجيج ، وكلمة القصد والحكمة لا يحجبها عن الآذان صليل هذه البيض ، بل تنطلق قوية رزينة مسببة مفحمة على لسان صنديد قريش الأول وزعيمها المطاع عتبة بن ربيعة « يا قوم ما حاجتكم أن تلقوا محمداً غدا وقد سلمت لـكم أموالـكم ورد الله عليكم رجالكم ، إنكم إن لقيتموه فأصاب منكم وأصبتم منه لا يزال الرجل ينظر فى وجه رجل يكره النظر إليه ، قد قتل أباه أو ابن عمه أو ابن أخيه . يا قوم ما يضركم أن تدعوا محمدا والناس ، فإن أصيب بيد غيركم كان ذلك الذى أحببتم ، وإن كانت الأخرى لقيتموه غدا ولم تعدموا منه ما تريدون »

ويسترسل عتبة ، ومن ورائه جهابذة قريش وجلة أبطالها وحكمائها ؛ كحكيم بن حزام وسهيل بن عمرو ، فى استدراج قريش إلى وضع السلاح ، وإقناعهم بحقن الدماء ، فى منطق تتساوق أدلته إلى الأفهام ، وأسلوب توشك حججه أن تؤثر فى الصم الصلاب ، حتى يفضى إلى التعرض لحمل التبعة جميعا وينتهى استجابة لداعى العقل والحكمة — إلى التضحية بذكره فى مجال الشجاعة وهو فارسها الجلى ، والنزول عن حظ نفسه من الثناء والشهرة ، وهى خير ما يحرص عليه صنديد عربى ؛ فيقول فى ختام هذه الدعوة « يا قوم . اعصبوها اليوم برأسى وقولوا جبن عتبة وأنتم تعلمون أنى لست بأجبنكم »

لقد كانت هذه الكلمات من سيد شجعان مكة وألمع أبطال قريش جديرة أن ترد السهام إلى كنائنها ، وتوسد السيوف بطون أغمادها ، وتلجم الضوامر الثائرة بشكائمها ، فتنساب فى مكة هدأة الأمن ، وتغشاها من جديد طمأنينة السلام . ولـكن العروبة قرينة العنف فى حقها وباطلها ، وتربية الصحراء أليفة الثورة فى إيمانها وكفرها

« لا يسألون أخاهم حين يندبهم   فى النائبات على ما قال برهانا »

وهكذا غلب ضجيج الحماقة على صوت الحكمة ، وفتكت شرة الحرب بدعوة السلم فخرجت قريش بخيلها ورجلها تحاد الله وتكذب رسوله وتبغى فى الأرض الفساد . وكذلك ساخ فى ركام النزق والغرور رأى عتبة على نضجه واستقامته ، وانجرف فى غمرة التيار عتبة بن ربيعة على شرفه فى القوم وزعامته ، ولم يدر إلا وقد فصلت الفيالق تجاه بدر ، وتيممت كتائب قريش القليب ! !

ترى ما عسى أن يصير إليه موقف عتبة وقد صدق عشيرته النصح فلم تنتصح ، ونخل لقومه مخزون الرأى فلم يرشدوا

هنا هنا موطن العبرة للساسة ، بل منزل القدوة للزعماء والقادة

هذا عتبة وقد أهمل رأيه على وساطته فى قومه ، ووضوح السداد فى دعوته ، لا يشغب على الجماعة ، ولا يأتى عملا أو قولا يضعف هيبتها أمام الأعداء

وهذا عتبة وقد انعقد إصرار الأمة على القتال ، لا يجد لرأيه حقا على نفسه حتى فى أن يأوى إلى الصمت والاعتزال

وهذا عتبة ينكر ذاته ، ويفنى وجوده فى أمته ، فيأخذ أهبته لنصرة النضال

وهذا عتبة وقد اعتصب للحرب ، لا يدع ظلا من شبهة فى أنه استكره على الخروج أو أحرج فى اللقاء

بل هذا عتبة وقد جد الجد ، وشمرت عن ساقها الحرب ، يحتل مكان الصدارة بين القاتلين ، وقد كان بالأمس عدو القتال ، فيضرب المثل الرائع فى إيثار الوحدة ، وفناء الفرد فى الجماعة ، وإذابة الرأى الواحد وإن استقام وصفا ، فى مشيئة الأمة متى تيممت وجهة أخرى

إى والله.. هذا عتبة يرى فى طليعة الصفوف ، ويتوج هامته بعصابة الحرب ، ويحمل عن يمينه — فى رأس الجيش كذلك — أخاه شيبة بن ربيعة وابنه الوليد بن عتبة ، يوقدهما شراوة الحرب الأولى ، ويعجل بنفسه وبهما غبار النقع فى غزو بدر الـكبرى

اسمعوا إليه أيها السادة الزعماء وهو يلق القفاز فى وجه

عصبية الحق ، ويتحدى كتائب الإيمان ، فيطالب الرسول صلوات الله عليه أن يحملها مبارزة رجل برجل !! بل استمعوا إليه وقد ابتدر فتيان الأنصار هذا التحدي، وحفزوا لالتقاط القفاز، كيف يعرض عن قتالهم ويغلو في الاعتداد بشرف قومه — وهم الذين أهملوا رأيه ونصحه — فيقول للرسول العظيم « بل أخرج إلينا أكفاءنا من بني عمومتنا من قريش »

وأطلوا على الموقف أيها الزعماء الأجلاء، وقد استعلت عزة الحق بلسان النبي ، وصرخت كرامة الإيمان في ندائه الأبي ، « أخرج إليهم يا علي بن أبي طالب فمليك بالوليد ، وياحمزة بن عبد المطلب فمليك بعتبة ، وياحارث بن عبد المطلب فمليك بشيبة »

لحظات من الفتوة العربية في إيمانها وكفرها ، إن ملأت النفوس هيبة من جلال الحق وخشوعا لسلطان العقيدة في معسكر المؤمنين ، فمن الإنصاف أن نشيد بما تصبه في مسمع الدهر من تخليد لرجولة هؤلاء العصبة المشركين

ولا يطول ريث الفريقين حتى تخلص لهم عاقبة هذا الصراع : لقد انتصرت السماء لجندها المؤمنين ، فما هي إلا لحظات حتى كانت دماء عتبة وأخيه شيبة وابنه الوليد تتدافع من صدورهم وجنوبهم ثارة دفاقة في لجاج الثرى توشك — لو أذن لها بالإفصاح — أن تقول لتاريخ الإنسانية « أنا الثمن الطبيعي للحفاظ على وحدة الجماعة ، والفدية المتقبلة للابقاء على استمساك كلمة الأمة ، لا بأس أن يهلك أبناء ربيعة وتحيا كلمة قريش أبية كريمة »

وا أسفاه يا عتبة أنك خرجت من الدنيا كافرا لا يحل الترحم عليك « ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى » ولكن القدر الواضح في خلقك من الرجولة ، والضوء الغالب على عملك من تقديس وحدة العشيرة ، والمثل السارى في تاريخك من إصغار رأى الفرد في سبيل الجماعة ، والأدب المتألق من سبقك — وإن أهدرت مشيئتك — إلى افتداء شرف الأمة . كل ذلك يا عتبة بل بعض ذلك ورب الكعبة مواطن للقدوة تندب إليها أئمة الزمان المحتربين وتحمي مجدع الأنف لو وجدت لها صدى في نفوس زعماء القرن العشرين ، الذين أشقوا بتناكرهم البلاد ، وأطعموا ثمرة خلافاتهم مصاير المحكومين

ألا فروا رأيكم ، يا زعماء مصر ، أين تقفون من بطولة هذا الزعيم من كفار بدر ، ولا روع عليكم أن تتخذوه قدوة ، وإن اتهمتم من دونه بسمة الإيمان ، فالحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق الناس بها — قيل : لا يبالي من أي وعاء خرجت

والفضل فضل وإن اختلفت الأيدي على تناوله ، والمثل الرفيع كذلك وإن خفت همم أهل الكفر إلى تداوله ، « ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا ، اعدلوا ، هو أقرب للتقوى ، واتقوا الله »

عبد الحكيم عابدين

مولانا محمـــــد على

للأستاذ على محمد سرطاوى

بقية ما نشر فى العدد الماضى

صدر العدد الأول من مجلة (ريفيو أف رليلجن) فى كانون الثانى ١٩٠٢ ، وقد جاء فى تحديد أهداف المجلة ما يأتى : (إننا نرمى من وراء إصدار هذه المجلة إلى غايتين واضحتين : الأولى ، أن نقود البشر إلى الصراط المستقيم حين نلهمهم المثل العليا ونحبب إليهم الصدق والإيمان ، وحين ننشر بينهم المعرفة الحقة ، وأخيرا أن تصدر أعمالهم فى الحياة عن المبادئ السامية التى أنزلها الله على نبيه فى الإسلام . والثانية : أن نجذبهم بمغناطيسية قوية من روعة الدين تجعلهم يسيرون مسحورين ، فى طريق الهدى ، وتوقظ فى نفوسهم القوة التى تدفعهم تحت تأثيرها للعمل بأوامر الدين واجتناب نواهيه)

ثم يمضى فى شرح الرسالة السامية وينتهى عند قوله : (وستقوم هذه المجلة بالدفاع عن قضية الدين الحنيف ، وتقاوم كل المعتقدات الفاسدة الممعنة فى الضلال المبين ، تلك المعتقدات التى ليست فى حد ذاتها غير تجاوز على ما يجب نحو الخالق أو على ما يجب نحو المخلوق)

وكانت المقالة الأولى التى ترجمها مولانا محمد على فى هذه المجلة هى تلك التى كتبها مؤسس الحركة الأحمدية لهذه المناسبة ، وكان عنوانها : (كيف نتخلص من الذنوب)

وأخذت المجلة تركز أبحاثها على ما كان يضطرم فى عقول الناس فى تلك الفترة الزمنية ، من القلق ، والشك ، والحيرة ، ولم يمض على ذلك العمل غير سنوات ثلاث ، حتى كانت المجلة قد أخذت طريقها إلى أرقى الأوساط فى إنجلترا وأمريكا . وكان من أبرز السمات التى امتازت بها ، تركيزها المحكم الدقيق فى عرض مبادئ الإسلام عرضا موفقا بديعا ، على الرغم من استهدافها لحملات عنيفة قاسية ، قام بها رجال الدين من الإكليروس النصرانى ، ولكنها صمدت لهم وهزمتهم فى عقر دورهم وأخرست الباطل فى ألسنتهم

وكانت فى نفس مؤسس الأحمدية رغبة قوية فى ترجمة معانى القرآن الكريم إلى الإنجليزية ، وقد صرح بذلك فى كتابه المسمى (إتمام الحجة) غير أن المنية لم تمهله ليرى ذلك الحلم الجميل حقيقة ناصعة ، فسار إلى لقاء ربه فى السادس والعشرين من أيار ١٩٠٨ ، تاركا رئاسة الحركة التى أسسها إلى المرحوم مولانا نور الدين الذى اشتهر بين الناس بعلمه ودينه

ودعى مولانا محمد على عام ١٩٠٩ ليقوم بترجمة معانى القرآن الكريم إلى اللغة الإنجليزية ، وراح فى صمت المؤمن ، وصبر المجاهد ، يواصل العمل طيلة سنوات ثمان . ولم يكن هذا العمل بالشئ اليسير ، وإنما كان شائكا معقدا وعر المسالك ، تتغلب عليه همة أقوى من راسيات الجبال ؛ إذ كان التعليق على الآيات وتفسيرها ونقل معانيها ، يتطلب دراسة أمهات كتب الأحاديث ومراجعة جميع المعروف من المعاجم العربية لأمانة نقل المعنى الذى ينطوى عليه اللفظ العربى ، إلى الإنجليزية نقلا صادقا دقيقا ، وكان يعمل فى كل يوم من تلك السنوات الثمان اثنتى عشرة ساعة عملا متواصلا ، حتى إذا ما أتعبه الجلوس ، انتصب قائما واستعان على عمله بمنضدة مرتفعة يعمل عليها وهو واقف فى يسر وسهولة

وتمت الترجمة بكل ما أضيف إليها من حواش وتعاليق وشروح ومقدمات وأضيف إليها النص العربى ، فبلغت الآلاف من الصفحات عام ١٩١٧

وفى هذا الوقت بدأت الخلافات فى الحركة الأحمدية وانشقت على نفسها ، وهو أمر يستوجب الأسف والحزن ، ولكنه أمر لم يكن منه بد ، ذلك أن أصدقاء مؤسسى الأحمدية وأعداءه على السواء قد نالوا منه وشوهوا أهدافه واقترفوا الضلال المبين عليه ، لأن فئة قليلة من أتباعه ، دفعتهم العاطفة ، وجرفهم الوهم على اعتباره نبيا بكل ما فى هذه الكلمة من معنى ، واعتقدوا أن جميع الذين لا ينظرون إليه على هذا الشكل إنما هم كفرة خارجون عن حظيرة الدين الإسلامى

وبعد وفاة مولانا نور الدين عام ١٩١٤ ، ترك مولانا محمد على

قاديان فى شهر نيسان من تلك السنة، مبتعداً بنفسه عن تلك الفتنة التى أثارت هذا النزاع فى قاديان، واستقر فى لاهور، وأسس الجمعية الأحمدية لإشاعة الإسلام فيها، وانتخب لرئاستها، وانقطعت صلاته بالجماعة الأحمدية فى قاديان منذ ذلك التاريخ. ولكن على الرغم من الواجبات العملية الشاقة التى تتطلبها رئاسته لتلك الجمعية الإسلامية، فإن أعماله الأدبية ونشاطه الفكرى لا يزالان على روعتهما وقوتهما وعمقهما وشمولهما

وأتم ترجمة معانى القرآن الكريم إلى الأوردية بعد ظهور الطبعة الإنجليزية بسبع سنوات

وهو كاتب من الطراز الأول، غزير الإنتاج، ألف عددا كبيرا من الكتب عن التاريخ والدين الإسلامى باللغة الإنجليزية. ولقد كتب ما يقرب من عشرة آلاف صفحة باللغة الإنجليزية، وعشرة آلاف صفحة أخرى باللغة الأردية عن المواضيع الإسلامية

قال المستر مارمدوك باكتال وهو من الإنجليز الذين هداهم الله إلى الدين الإسلامى؛ من الذين تصدوا لترجمة معانى القرآن إلى الإنجليزية، عن كتـــاب مولانا محمد على (دين الإسلام) الذى ألفه فى اللغة الإنجليزية عام ١٩٣٦ ما يأتى:

(لم يستطع إنسان من المعاصرين أن يخدم الإسلام، بأوسع ما فى الخدمة من معنى، كما استطاع مولانا محمد على)

ويعتبر مولانا محمد على من القلائل من بين بنى الإنسان الذين يطيقون العمل المعقد المضنى ويصبرون السنوات على احتماله بجلد عظيم. وليس ذلك كل ما يمتاز به، إنما يضاف إليه الترتيب فى العمل، والاستفادة من الوقت على أحسن الوجوه بصورة لا يقدر أن يجاريه أى أوربى فى مضمار من هذا النوع. وهو فى عاداته شديد الاتزان شأنه فى ذلك شأن دقته فى الحكم على الأشياء والناس والمشاكل فى عظائم الأمور. وعلى الرغم من عدم احترافه المحاماة، فإن دراسته العميقة للقانون جعلت أحكامه مبنية على الحقائق لا على العواطف المتغيرة. ولقد تركزت هذه الصفات الرائعة فى الحركة الأحمدية التى رأسها فى لاهور، وابتعد بذلك عن أتباع الحركة نفسها من المتطرفين فى قاديان

ومنذ موت مؤسس الأحمدية، تعرضت الحركة التى أسسها إلى عوامل مختلفة، داخلية وخارجية عنيفـــة، غير أن مولانا محمد على وقف كالصخرة الراسية أمام هذه العواصف خشية أن تعصف بالناحية الروحية المثالية الرائعة التى هى رسالة هذه الحركة فى توجيه مبادئ الإسلام لخدمة الإنسانية

لقد بلغ مولانا محمد على من النجاح شأوا بعيدا قلما بلغه إنسان مثله، بسبب إيمانه العميق بالله، ذلك الإيمان الذى لم تكن لتقوى أعاصير الحياة على زعزعته، والذى كان يزيد فى روحه ومتانته إدمانه قراءة القرآن، والأحاديث المأثورة عن الرسول، والذكريات القوية العميقة الجذور فى عواطفه عن مؤسس الحركة الأحمدية، وخشوعه فى صلواته التى لا تنقطع لله تعالى. وهو حين يصلى، كثيرا ما ينفصل عما يحيط به من عالم مادى، وينطلق بروحه إلى آفاق الغيب البعيدة عن حدود الدنيا، فتمر الدقائق وهو لا يشعر بما يدور حوله من حركة وما ينبعث عن الحياة من ضوضاء وتشويش

ومن عادة مولانا محمد على أن يستيقظ فى الساعة الثانية أو الثالثة بعد منتصف الليل، ولقد مرت عليه سبعون سنة وهو يستيقظ فى هذا الموعد ليغتسل فى مثل هذه الساعة المبكرة التى هى أحلى ساعات النوم عند الذين يعيشون بلا أهداف إنسانية عظيمة فى الحياة، وما اضطربت هذه المواعيد مرة فى هذه السنين الطويلة، حتى إذا ما انتهى من الاستحمام، انهمك فى صلاة التهجد حتى يطلع الفجر، ويؤذن لصلاة الصبح. ومن عادته أن يأخذ بعد ذلك قسطا من الرياضة البدنية بعد صلاة الصبح مباشرة، فيسير على قدميه مسافة تتراوح بين ثلاثة أميال وخمسة أميال. ولم يقطع فريضة واحدة من الصلوات الخمس منذ أن كان طالبا فى المدرسة وعمره لا يزيد على عشر سنين، ولم ينقطع عن صلاة التهجد التى كان يشارك فيها أســـتاذه ميرزا غلام أحمد منذ أن كان فى الخامسة والعشرين من عمره السعيد

ولعل بساطته، التى نسبته إلى حد بعيد، إلى بساطة الأطفال، ترجع إلى عمق اتصاله بالأبد وعالم الروح وهو على الأرض، وعلى الرغم من أن مولانا محمد على يعيش فى عالم يضطرب بالخداع والنفاق والغدر والنميمة والأذى، فإنه فى أخلاقه كالكتاب المفتوح، يستطيع كل إنسان أن يقرأ فيه من النظر إلى قسمات وجهه

كل ما يجيش فى عواطفه من شعور السخط أو الغبطة ؛ وهو كالمرآة الصافية الأديم ، يرى الناظر فيها كل ما فى تلك النفس العظيمة من استحسان أو استنكار ، تلك النفس التى لا تعرف الخداع والتضليل والأباطيل

والذين يعرفون مولانا محمد على معرفة دقيقة من طول عهد الصحبة فى مواكب الحياة ، لا يذكرون مرة أنه مدح نفسه ، أو أشار إلى ذلك من بعيد أو قريب ، مهما خفيت تلك الإشارة فى طياتها

وإنما يذكرون أنه دائما ، يحصى على نفسه ذنوبها وهفواتها ويحاسبها حسابا عسيرا

* * *

وبعد فهذه شخصية إسلامية جليلة القدر ، بعيدة الأثر فى خدمة الدين ، تعمل أعمال الجبابرة وراء صمت المتواضع ليكون العمل خالصا لوجه الله العظيم

وسيمر الزمن وتتلقف الأجيال المقبلة من أبناء المسلمين إلى التراث الخالد الذى صنعه مولانا محمد على لنشر الدين فتعطيه ما يستحقه من تقدير ، وتنصفه من الحياة التى لا تسدد النظر فى مواكبها إلا إلى الدجالين والمشعوذين، فيخلد مع الخالدين

والآن وبعد مرور نصف قرن من جهاد مولانا محمد على ، ذلك الجهاد الذى فتح الآفاق الموصدة فى وجه رسالة الإسلام الخالدة ، يقف فوق الحياة بعد أن أشاع فى ظلامها النور الإلهى الذى يبعث الرحمة إلى القلوب المعذبة فيها

والعبيد المعذبون فى أمريكا ، والمنبوذون المضطهدون فى الهند ، والشعوب التى تئن تحت المبادئ المزيفة التى صنعها الإنسان ، ينتظرون الفجر الذى يبدد الظلام الذى يعيشون فيه ، من عدالة الإسلام ومبادئه الإنسانية الخالدة

أمد الله فى عمر مولانا محمد على ، ونفع به، وأعز به الإسلام، وجزاه خير الجزاء عن الإسلام والمسلمين

بغداد — **على محمد سرطاوى**

بريطانيا العظمى

للأستاذ أبو الفتوح عطيفة

(تابع)

حديث :

فى يونية ١٩٤٥ كنت قادما من بور سعيد إلى القاهرة، وكان يرافقنى أحد الزملاء الكرام ورجل إنجليزى كان يرتدى الثياب المدنية ومعه حقيبة مكتوب عليها بيروت ، وكانت بيروت ودمشق تثيران اهتمام العرب كافة ، والمصريين خاصة، وتشغلان القلوب بما كان يجرى فيها من حوادث مروعة إذ ذاك .

ذلك أن فرنسا لم تكد تتحرر من الاحتلال الألمانى حتى جاءت بجحافلها إلى الشرق تحاول أن تسترد نفوذها فى سوريا ولبنان وأن تقضى على استقلالها ، وانطلقت طائراتها تضرب الآمنين من سكان بيروت ودمشق فى غير إنسانية ولا رحمة، الأمر الذى أثار ثائرة الرأى العام الشرقى عامة والمصريين خاصة . وسط هذه الحوادث والفواجع كان التقائى بالرجل الإنجليزى

ولم نلبث أن تجاذبنا أطراف الحديث فقلت له « أيرضيك ما تفعله فرنسا فى بيروت ودمشق ؟ إن فرنسا كانت تبكى على حريتها منذ حين ، فما بالها تقتل الحرية فى غير بلادها ، وتروع الآمنين فى ديارهم ؟ إن الشرقيين لم يقفوا من قضية الديمقراطية موقفا عدائيا طوال الحرب ، بل قدموا للحلفاء ما استطاعوا من مساعدات ! فهل يكون هذا جزاؤهم ؟ »

ولكن الرجل لم يجب وانتقل إلى موضوع آخر « أ كنتم تقفون حقا فى صف الديمقراطية ؟ » قلت « بلى » قال « فلم قتل رئيس وزرائكم ؟ (المغفور له أحمد ماهر باشا) قلت « إن هذه جريمة فردية ولا تؤخذ أمة بجريرة فرد ، والدليل على صدق ما أقول أنه لم يوجد للقاتل شركاء »

وانتقل الرجل إلى حديث آخر قال « أعندكم نظام برلمانى سليم ؟ أتجرى انتخاباتكم كما يجب أن تجرى الانتخابات ؟ »

قلت له «مهلا. إن كان فى نظامنا البرلمانى بعض الهنات فإنها ستصلح مرويا وستتغلب عليها إن شاء الله » ثم استأنفت حديثى قائلا : « إن نظامكم البرلمانى الذى تفخرون به كان نظاما فاسدا فى القرن التاسع عشر ، وقد أصلح ، فلم لا يصلح نظامنا البرلمانى كما أصلح نظامكم ؟ »

عيوب :

كان النظام البرلمانى الإنجليزى فى القرن الثامن عشر موضع إعجاب المفكرين الفرنسيين أمثال مونتسكيو ، ولكن الإصلاحات التى جاءت بها الثورة الفرنسية جملته يظهر بعيداً كل البعد عن تحقيق الديمقراطية، فقد كان أعضاؤه من كبار الملاك والأشراف الذين وصلوا إلى مقاعد النيابة بنفوذهم وبالرشوة، ولم يكونوا يمثلون الشعب البريطانى بحال من الأحوال . وقد صبر الشعب على مساوئ النظام البرلمانى أثناء الكفاح بين إنجلترا وفرنسا فى عصر الثورة ونابليون ، ولكن بعد سقوط نابليون تطلع الشعب إلى إصلاح النظام البرلمانى وهنا أحب أن أذكر أن الإصلاح قد تم تدريجا ودون حدوث ثورات خطيرة أو انقلابات عنيفة كما حدث فى فرنسا . وقد كانت أهم عيوب النظام البرلمانى فى أوائل القرن التاسع عشر ما يلى :

أولا : سوء توزيع الدوائر الانتخابية : فقد بقى على ما كان عليه فى عصر شارل الثانى ١٦٦٠ رغم التطورات التى حدثت فى حياة إنجلترا وفى توزيع سكانها ، وقد كان من نتائج ذلك أن حرمت مدن كبيرة — نشأت نتيجة للانقلاب الصناعى مثل مانشستر وليدز وبرمنجهام — من التمثيل النيابى، بينما كانت «دنوتش» التى غمرتها مياه بحر الشمال ترسل نوابها إلى البرلمان ، وكذلك « سارم القديمة » كانت عبارة عن تل من الخرائب ومع هذا كان لها نواب فى البرلمان !

ثانيا : لم يكن التوزيع عادلا من ناحية أخرى : فقد كانت إرلندا تنتخب مائة نائب عن ستة ملايين من السكان ، وكانت إسكتلندا تنتخب ٤٥ نائبا عن مليونين ، وكانت إنجلترا تنتخب ٥٦٣ نائبا عن ١٢ مليونا من السكان . وكذلك كان يمثل الأقاليم ١٨٦ عضوا ويمثل المدن ٤٦٧ عضوا

ثالثا : تقييد حق الانتخاب : فقد كان قاصرا على طبقات معينة؛ هم كبار الملاك فى الأقاليم وأعضاء البلديات فى المدن ، وقد كان عدد الناخبين فى دائرة جاتن سبعة فقط

رابعا : كان كثير من الدوائر يقع فى أملاك اللوردات؛ وكان لهؤلاء تأثير كبير على الناخبين، ونتيجة لذلك اختار دوق نورفولك أحد عشر نائبا فى البرلمان، ولورد لونسدول تسعة، ولورد دارلنجتون سبعة ، بل إن بعض اللوردات كان يبيع دوائره لمن يدفع أعلى ثمن

خامسا : كان حق الانتخاب مباحا لمن يدفع ضرائب سنوية قدرها أربعون شلنا، ولكن اختفاء الملكيات الصغيرة قلل عدد الناخبين لدرجة أنه كان فى دائرة « بوت » واحد ، وفى أحد الانتخابات حضر هذا الناخب وحضر معه المندوب وضابط يشرف على الانتخاب، وأجريت عملية الانتخاب، وانتخب الناخب نفسه ، وأصبح نائبا

سادسا : كانت قلة عدد الناخبين مدعاة لانتشار الرشوة ، فكان الصوت يباع بجنيهين وربما وصل إلى عشرة جنيهات

سابعا : عدم سرية الانتخابات

وهكذا نرى أن مجلس العموم كان فى الواقع لا يمثل الشعب البريطانى ، وقد لمس كبار رجال بريطانيا الحاجة إلى الإصلاح، واقتنع به بت الأكبر ثم بت الأصغر ، ولكن حوادث الثورة الفرنسية والصراع بين إنجلترا وفرنسا أوقف حركة الإصلاح . ولما انتهت الثورة قام كثير من المفكرين يدعون إلى الإصلاح وزاد الحركة قوة بؤس الطبقات العاملة وسوء حالها وانتشار الغلاء بسبب قانون الغلال الذى صدر ١٨١٥ لحماية كبار الملاك . ورأى هؤلاء المفكرون أن الإصلاح لن يكون إلا إذا تم الإصلاح النيابى، وزج بكثيرين منهم أمثال وليم كوبت فى السجون

وأخيرا فى ١٨١٩ قامت مظاهرات فى مانشستر للمطالبة بالإصلاح ، ولكن الحكومة استخدمت الشدة فى قمعها ، فقتل وجرح كثيرون، وقد سميت هذه المعركة بمعركة «بيترلو» تهكما . وأصدرت الحكومة قوانين قيدت بها حرية الصحافة وحرية الخطابة وحرية الاجتماع . ورغم هذا ظلت حركة الإصلاح سائرة

وتبناها كثير من أغنياء التجار والصناع

ولما قامت ثورة ١٨٣٠ في فرنسا سقطت وزارة المحافظين في إنجلترا، وقامت وزارة من الأحرار بزعامة لورد جراي، وقدم اللورد جون رسل مشروعاً بالإصلاح إلى مجلس العموم، ولكن المشروع لقي معارضة، فحل المجلس وأجريت انتخابات، وجاءت النتيجة في جانب الأحرار فوافق المجلس على قانون ١٨٣٢، ولكن مجلس اللوردات عارض فاستقال جراي. وقد عجز الملك عن تأليف وزارة أخرى، فاضطر إلى استدعاء جراي ثانية، وصرح له برفع بعض الأحرار إلى مرتبة اللوردية حتى تكون له أغلبية، وإزاء هذا التهديد قبل اللوردات المشروع

وبمقتضى قانون ١٨٣٢ ألغيت مقاعد المدن البالية، ووزعت الدوائر الانتخابية توزيعاً عادلاً بحيث تمثل المدن الجديدة في البرلمان، وأنقص النصاب المالي للناخب فزاد عدد الناخبين إلى ٦٥٦ ألف بعد أن كان ٥٣٥ ألف

ولكن القانون لم يحقق الديمقراطية كما كان ينشدها أفراد الشعب البريطاني، وقد انتفع به أفراد الطبقة الوسطى، أما العمال فقد بقوا بدون تمثيل، ولذلك فبرغم صدور قانون في ١٨٣٣ يحدد ساعات العمل، قاموا ينهضون بزعامة روبرت أوين ويطالبون بالإصلاح، وقد ضمنوا مطالبهم وثيقة سميت «وثيقة الشعب» وأهمها:

١ : الاقتراع العام ٢ : سرية الانتخاب
٣ : تجديد مجلس العموم سنويا
٤ : صرف مكافآت للنواب تشجيعا للفقراء الأكفاء
٥ : عدم تقييد النواب بمؤهلات مالية
٦ : تقسيم البلاد إلى دوائر انتخابية متساوية

على أن هذه الحركة لم تنجح وذلك لتحسن حالة العمال بعد إلغاء قانون الغلال سنة ١٨٤٦، ولكن ظل العمال يطالبون بحقوقهم السياسية، وفي ١٨٦٧ تبنى حركة الإصلاح غلادستون زعيم الأحرار ودزرائيلي زعيم المحافظين؛ كل يحاول أن يجعل نفسه محبوباً لدى الشعب بالاستجابة إلى رغباته، ونتيجة لذلك صدر قانون ١٨٦٧ وبه عدل توزيع الدوائر الانتخابية توزيعاً عادلاً، وقلل النصاب المالي للناخب فزاد عدد الناخبين وأصبح لبعض العمال حق الانتخاب، ولكن ظلت الأغلبية محرومة.

وفي ١٨٧٠ تقررت مجانية التعليم الأولي وجعل إجباريا

وفي ١٨٧٢ تقررت سرية الانتخابات

وفي ١٨٨٤ صدر قانون آخر يبيح للزراع حق الانتخاب، وأعيد توزيع الدوائر بحيث أصبح لكل ٥٠ ألفا من السكان نائب في مجلس العموم

وفي ١٩١٨ تقرر حق الانتخاب للبالغين من الرجال والنساء على السواء، وبذلك أصبح مجلس العموم يمثل الشعب البريطاني تمثيلا كاملا

وأحب أن أذكر أيضا أن مجلس العموم عمد إلى تركيز السلطة في يده وسحبها من يد اللوردات، فتقرر سنة ١٩١١ أن الميزانية تصبح نافذة إذا أقرها مجلس العموم ولو لم يقرها مجلس اللوردات، وكذلك تقرر أن القوانين التي يوافق عليها مجلس العموم (النواب) ثلاث مرات تصبح نافذة ولو لم يوافق عليها مجلس اللوردات. وهكذا أصبح مجلس العموم الذي ينتخبه الشعب البريطاني صاحب الكلمة العليا في بريطانيا، والوزراء ليسوا إلا منفذين لتوجيهاته وإرشاداته

أبو الفتوح عطيفة
مدرس أول العلوم الاجتماعية
بسمنود الثانوية

بمناسبة رمضان (شهر الإحسان)

سؤال الناس

للأستاذ علي العماري

للشاعر الإسلامي جرول بن أوس الملقب بالحطيئة وصية غريبة مشهورة عنه ، ذلك أنه حين حضرته الوفاة قيل له : أوص يا أبا مليكة . فقال : مالي للذكور من ولدي دون الإناث ، قالوا : فإن الله لم يأمر بذلك ، قال : فإني آمر به . قيل له : ألا توصي بشيء للمساكين ؟ قال : أوصيهم بالمسألة ما عاشوا ، فإنها تجارة لن تبور . قيل له : فلان اليتيم ، ما توصي له بشيء ؟ قال : أوصيكم أن تأكلوا ماله !

ومع غرابة هذه الوصية ، ومع أننا نظن أنها وضعت لقصد الفكاهة ، مع ذلك فإن الناس يعملون بها أكثر مما يعملون بأي وصية أخرى في هذه الشؤون . ويعنينا من وصيته . ماوصى به المساكين ، فإنهم اتخذوا السؤال مادة للكسب ، وتجارة تدر عليهم الربح الوفير ، والمال الكثير . ومع أن السؤال أردأ مهنة يحترفها الرجل ، ومع أن المال الذي يجيء عن طريقه أرذل كسب يكسبه ، نجد العاجز والقادر ، الشيخ والشاب ، الرجل والمرأة ، نجد من كل أولئك من يحترف السؤال ويعيش عليه ، بل ويجمع الثروة الطائلة عن طريقه

وليس أضر على المجتمع الناهض ، وعلى الأمة التي تريد أن تبني مجدها ، من أن يكون فيها جماعة يعيشون على كسب الغير وهم قادرون على العمل ، فليس رقي الأمم هبة تمطى ، وإنما هو عمل أبنائها ، وجهاد في سبيل عظمتها ومجدها ، وأول سلم في هذا الجهاد أن يؤدي كل إنسان واجبه ، وأن يعمل كل فرد ما يستطيع من العمل . أما الكسل ، وأما الاعتماد على الآخرين ، فذلك ينافي طبيعة العمران ، ويحط من شأن الأمة ، ويعطل آلة النجاح والتقدم فيها

ومن عجب أن أكثر هؤلاء السؤال يتمسحون بالإسلام ، ويستدرون عطف الناس باسم الدين ، والإسلام ليس فيه لهؤلاء حجة ، فقد أزرى على السؤال ، وبغض فيه ، وحث على العمل ، وأوجبه على القادر ، ولو كان عملا دنيئا حقيرا ، فهو — على كل حال — خير من مسألة الناس ، وبعض أصحاب النفوس العالية يفهم ذلك تمام الفهم ، فقد حدثني صديق أنه رأى رجلا يعمل عملا يستقذره الناس ، فلما فرغ من مسح يديه بالتراب ، وجلس يأكل ، قال صديق فرأيته يتحدث ويقول : اسكتي ، تأدبي . والله إن لم ترضي لأهيننك . فقلت له : يارجل ، رأيتك تتحدث وليس معك أحد ، فمن تخاطب ؟ قال : أخاطب نفسي ، فإنها لما رأتني جلست آكل تقززت مني . فقلت له : سمعتك تقول لها تأدبي وإلا أهينك ؛ فأي عمل أشد إهانة لها من عملك هذا ؟ فالتفت الرجل مستغربا ، وقال لي : يامسكين ، إن في الأعمال ماهو أخس من عملي وأقذر ، ذلك مسألة الناس شيئا

والإسلام لم يبح السؤال إلا للعاجز عن الكسب عجزا تاما ، ومع ذلك دعا إلى التعفف ، والإجمال في المسألة ، وعدم الإلحاف فيها ، حتى استحسن العلماء أن يكون الرجل عييا في المسألة ، وعند وصف الفاقة ، فذلك أدل على كرم الطبع والأنفة من حال المسألة ، والتصون من ذكر الفاقة ، وقد مدح الله قوما بمثل هذا فقال : (يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف ، تعرفهم بسيماهم ، لا يسألون الناس إلحافا)

لكن المحترفين للسؤال يطاردونك مطاردة من له عليك دين ، وربما تطاولوا عليك وسبوك . روى أن سائلا وقف على باب قوم يسألهم فقالوا : يفتح الله عليك ، فقال : كسرة . قالوا : ما نقدر عليها . قال : فقليل من بر أو فول أو شعير ، قالوا : لا نقدر عليه ، قال : فقطعة دهن أو قليل من زيت أو لبن ، قالوا : لا نجده ، قال : فشربة ماء ، قالوا : وليس عندنا ماء ، قال : فما جلوسكم ههنا ؟ قوموا فاسألوا فأنتم أحق مني بالسؤال !

ولا شك عندي أن هؤلاء — إذا كانوا صادقين — أحق بالسؤال من هذا السائل الوقح ، ولكنهم قوم كرماء النفوس يصونون ماء وجوههم ، ويعتزون بأنفسهم ؛ ويخفون ما بهم من ضر وحاجة . وقد قرأت في تاريخ السودان أن الرجل كان إذا احتاج أغلق عليه باب داره ، ومكث فيها حتى يموت ،

وقديما قال الشاعر الجاهلي (الشنفرى)

أطيل مطال الجوع حتى أميته
وأضرب عنه الذكر صفحا فأذهل
وأستف ترب الأرض كي لا يرى له
علي من الطول امرؤ متطول

وقديما سأل رجل أبا دلف العجلي ، فقال أبو دلف : أتسأل وجدك الذي يقول :

ومن يفتقر منا يعش بحسامه
ومن يفتقر من سائر الناس يسأل

فخرج الرجل ، وجرد سيفه ، وعاش عليه

وهناك جماعة يعيشون على كسب غيرهم، وهم – في نظري – لا يختلفون عن هؤلاء السؤل في شيء ، فقد تعجبك هيئة الرجل ووجاهته ، فإذا سألت من أين يعيش ؟ قيل لك إن له أخا أو أبا أو قريبا غنيا فهو ينفق عليه ويعطيه ، أو إن له أصدقاء وتلاميذ يعودون عليه بالخير ، ويغمرونه بالهدايا والألطاف ، فمنها يعيش . ويحضرني دائما عند ذكر هؤلاء قصة الرجل الذي قيل للنبي صلى الله عليه وسلم فيه إنه صوام قوام متبتل ؛ فسألهم فمن يصلح له أمره ، ويكفيه ما يهمه؟ فقالوا كلنا يا رسول الله ، فقال: كلكم خير منه . كما يحضرني الحديث الشريف : أشد الناس عذابا يوم القيامة المكفي الفارغ . وقول خليفة المسلمين يزيد بن عبد الملك : ما يسرني أني كفيت أمر الدنيا لئلا أتعود العجز

فمن أراد أن يتفرغ لعبادة ربه ، فليكتف من أمر الدنيا بالقليل ، وليعمل عملا يدر عليه هذا القليل . وأعجب ما في أمر هؤلاء أنهم يبررون أخذهم لهذه الأموال بأنهم ينفقونها في سبيل الخير ، وما علموا أنها أموال لا وجه لعمل فيها ، ولقد حدث العالم الكبير عبد الرحمن بن أبي ليلى ، وكان يضارع أبا حنيفة في الفقه قال : إني لأساير رجلا من وجوه أهل الشام : إذ مر بحمال معه رمان ، فتناول منه رمانة ، فعجبت من ذلك ، فمر به سائل فناوله إياها ، فقلت له : رأيتك قد فعلت عجبا ، قال : وما هو ؟ قلت أخذت رمانة من حمال وأعطيتها سائلا ، قال : وأنك ممن يقول هذا القول ؟ أما علمت أني أخذتها وكانت سيئة وأعطيتها فكانت عشر حسنات ، فقلت : أما علمت أنك أخذتها فكانت سيئة ، وأعطيتها فلم تقبل منك

قلت : ومنطق هؤلاء لا يختلف في شيء عن منطق ذلك الرجل

(وبعد) فكيف نعالج هذا الداء الشين ، لعلي لا أبعد كثيرا إذا قلت إن العلاج الوحيد هو أن نفهم الناس دينهم على حقيقته ، وأن يتأكدوا أن هذه المظاهر مما تشين الوطن ، وتحط من قدر الأمة ، والنفوس بطبيعتها شحيحة فلا يمكن أن ندعوها إلى أن تزيد في شحها ، ولكن ندعوها إلى أن تتلمس ذوي الحاجة من الأقرباء والجيران والمعارف فتدفع إليهم ما تجود به ، وأن تمتنع امتناعا تاما عن إعطاء هؤلاء الذين يتجرون بالسؤال . وليس صحيحا ما يفهمه الناس من إعطاء السائل ولو جاء على فرس ، فإن ذلك إذا لم يجد المعطي من هو أحوج من الفارس ، وإذا لم يكن صاحب الفرس قد اشتراه من أموال الناس التي سألهم إياها !

وأن يعلم هؤلاء الذين يعيشون على أرزاق غيرهم من الناس أن الموت أهون من ذل السؤال ، وأن الإنسان لا يجد عوضا عن ماء وجهه الذي يبذله ، وصدق الشاعر

ما نال باذل وجهه بسؤاله عوضا ، ولو نال الغنى بسؤال

علي العماري

عقيـــدتى

للفيلسوف الإنكليزى المعاصر برتراند رسل

للأديب عبد الجليل السيد حسن

الفصل الرابع

الخلاص الفردى والاجتماعى

إن إحدى نقائص الدين التقليدى هى فرديته. وهذه النقيصة ترجع أيضاً إلى الأخلاق المقترنة به ، وكانت الحياة الدينية دائماً بالتقليد حواراً بين الروح والله ، فإن تطع إرادة الله ، فذلك هو الصلاح . وكان ذلك فى إمكان الفرد الذى يهمل حالة المجتمع تماماً، وقد نشرت الفرق البروتستانتية فكرة « وجود المخلص » ولكنها كانت دائماً موجودة فى التعاليم المسيحية ، وهذه الفردية فى الروح الفارق كان لها قيمتها فى مراحل معينة من التاريخ ، ولكننا فى العالم الحديث فى حاجة إلى تصور اجتماعى للخير أكثر من التصور الفردى . وأود أن نرى — فى هذا الفصل — كيف يؤثر هذا فى تصورنا للحياة السعيدة

ظهرت المسيحية فى الإمبراطورية الرومانية بين شعوب مجردة من القوى السياسية ، قد تحطمت حكوماتها القومية وارتبطت بكتلة ضخمة فاقدة الشخصية ، وفى أثناء القرون الثلاثة الأولى من العصر المسيحى، كان الأفراد الذين اعتنقوا المسيحية لا يستطيعون أن يغيروا النظم الاجتماعية والسياسية التى كانوا يعيشون فى ظلالها على رغم أنهم كانوا مقتنعين تماما بفسادها. وأثناء هذه الظروف كان من الطبيعى أن يؤمنوا بالاعتقاد بأن الفرد من الممكن أن يكون كاملا فى عالم غير كامل ، وأن الحياة السعيدة ليس لها شأن بهذا العالم . وقد يتضح ما أعنيه أكثر بالمقارنة بجمهورية أفلاطون ؛ فحينما أراد أفلاطون أن يصف الحياة السعيدة ، وصف المجتمع ككل لا كأفراد ، وقد فعل ذلك ليحدد العدالة التى هى معنى اجتماعى جوهرى ، فقد كانت حقوق « الجمهورية » مألوفة لديه ، وكانت المسئولية السياسية عنده قضية مسلمة ، وحينما فقد اليونان حريتهم إلى دور ظهور الرواقية ، التى هى — كالمسيحية وليست كأفلاطون — فى تصورها الفردى للحياة السعيدة

ونحن الذين ننتمى إلى ديمقراطيات عظيمة ، سنجد عند الآثينيين الأحرار أخلاقاً أكثر ملاءمة مما نجد لدى الإمبراطورية الرومانية صاحبة السلطان المطلق . وفى الهند حيث الأحوال السياسية مشابهة تماما لما كان فى أرض المعاد (Judea) (١) فى زمن المسيح، نجد غاندى يحث على أخلاق مشابهة جداً لأخلاق المسيح، ويعاقبه من أجلها خلفاء بلاطس Pontius Plate (٢) المسيحيون، ولكن الوطنيين الهنديين المتطرفين ، ليسوا راضين عن الخلاص الفردى ، فهم يريدون خلاصاً قومياً ، وهم فى هذا قد أخذوا بنظرة الديمقراطيات الغربية الحرة ، وأريد أن أذكر بعض الجوانب التى جعلت هذه النظرة — بسبب المسيحية — إلى الآن خالية من القوة والوعى والكفاية ، بل ما زال الاعتقاد فى الخلاص الفردى يقيدها

والحياة السعيدة كما نتصورها تحتاج إلى عدد عظيم من الشروط الاجتماعية التى لا يمكن أن تتحقق بدونها . والحياة السعيدة كما قلنا هى الحياة التى يلهمها الحب وترشدها المعرفة . والمعرفة المتطلبة لا توجد إلا حيث تقف الحكومات وأصحاب الملايين أنفسهم على اكتشافها ونشرها ؛ فمثلا انتشار السرطان شيء مخيف ، وماذا يجب علينا أن نعمل بإزائه ؟ فى الحالة الراهنة لا يستطيع أحد أن يجيب عن هذا السؤال ، لنقص المعرفة . والمعرفة ليس من المحتمل أن تظهر وتكتشف إلا بالبحث الموقوف عليها . ومرة أخرى معرفة العلم والتاريخ والأدب والفن ، يجب أن يحصل عليها كل من يرغب فيها ، وهذا يقتضى استعداداً متعدد النواحى من جانب السلطات العامة ، ولا يبلغ إلى ذلك عن طريق التحول الدينى . وحينئذ فهاهنا تجارة خارجية بدونها يموت جوعاً نصف سكان بريطانيا العظمى . وإذا متنا جوعاً ، فإن قليلا منا سوف يحيون الحياة السعيدة . ولا داعى لأن نكثر من الأمثلة ، ولكن النقطة المهمة هى أنه من بين كل ما يفرق بين الحياة

---

(١) Judea أرض المعاد هى الجزء الجنوبى من أرض فلسطين

(٢) الوالى الرومانى الذى أسلم المسيح عليه السلام لليهود لصلبه

السعيدة والحياة السيئة ، هو أن العالم وحدة ، وأن الإنسان الذى يدعى أنه يعيش مستقلا طفيلى ، سواء شعر بذلك أم لم يشعر

وفكرة الخلاص التى كان المسيحيون الأولون يملأون بها أنفسهم لخضوعهم السياسى تصبح مستحيلة بمجرد أن تتخلى عن التصور الضيق للحياة السعيدة ، ففى تصور المسيحية السليمة Oothrdox أن الحياة السعيدة هى حياة الفضيلة والصلاح ، والفضيلة فى إطاعة إرادة الله ، وإرادة الله تتضح لكل إنسان خلال صوت الضمير ، وهذا تصور أناس خاضعين لسلطة مطلقة أجنبية مستبدة ، والحياة السعيدة تشمل كثيرا ، بجانب الفضيلة — الذكاء مثلا . وكثيرا ما يكون الضمير مرشداً مضللا ، لأنه يتضمن ذكريات غامضة لمدركات منذ الطفولة ، ولذلك فهو ليس أحكم من صاحبته المربية أو الأم . ولكى يحيا المرء الحياة السعيدة بأتم معانيها ، يجب أن ينال قسطا وافرا من التربية ، وأن يكون والأصدقاء والحب والأطفال — إذا أرادهم — ودخل كاف ليحفظه من العوز والقلق ، وصحة جيدة ، وعمل ليس بالممل . وكل هذه الأشياء بدرجات متفاوتة ، وتعتمد على المجتمع ؛ وتساعدها أو تعوقها الأحداث السياسية . والحياة السعيدة لا تكون أبدا إلا فى مجتمع سعيد ، وليست ممكنة فى عالم ليس كذلك

وهذا نقص أساسى فى المثل الأرستقراطى الأعلى ، فبعض الأشياء الصالحة مثل الفن والعلم والصداقة ، يمكن أن تزدهر أعظم ازدهار فى مجتمع أرستقراطى ، فقد وجدت فى اليونان على أساس الرق ، وتوجد بيننا على أساس الاستغلال والتسخير ؛ ولكن الحب فى صورة المشاركة الوجدانية وحب الخير لا يمكن أن يوجد وحده طليقا فى مجتمع أرستقراطى . فالأرستقراطى يقنع نفسه بأن الرقيق أو الأجير أو الرجل الملون من طينة أدنى فإيذاؤهم لا يهم وإن الرجل الإنجليزى المثقف فى الوقت الحاضر ليضرب الإفريقيين بشدة ، حتى أنهم يموتون بعد ساعات من الألم الفظيع . وأنا لا أستطيع أن أقول إن هؤلاء المهذبين — حتى ولو كانوا متعلمين جيدا وفنانين ومحدثين لطافا — يحيون حياة سعيدة ؛ فإن الطبيعة البشرية لتضع بعض الحدود للمشاركة الوجدانية ، ولكن ليس بدرجة مثل هذه . وفى المجتمع ذى الوعى الديمقراطى لا يسلك هذا المسلك إلا الممهووس (Maniac) وتحديد المشاركة الوجدانية التى يشتمل عليها المثال الأعلى الأرستقراطى عيبها . والخلاص مثال أرستقراطى لأنه فردى ، ولهذا أيضا لا تصلح فكرة الخلاص الشخصى — مهما أولت ووسعت — لتعريف الحياة السعيدة

وطابع آخر من مميزات « الخلاص » وهو أن ينجم عن تغيير محتى (نتيجة محتمة) كتحول القديس بولس (Saint paul). وأشعار « شلى » تقدم صورة لهذا المعنى تنطبق على المجتمعات ، فاللحظة تحين حين يتغير كل إنسان » وتطير الفوضى واختلال الحكم » « ويبدأ عمر العالم العظيم من جديد » ولكن : قد يقال إن الشاعر ليس بذى أهمية ، وأفكاره لا نتيجة لها ؛ ولكنى أقول : إن جزءا كبيرا من القواد الثوريين كان لديهم أفكار مثل ما لدى شلى إلى حد بعيد ، فقد فكروا فى أن البؤس والقسوة والانحطاط ترجع كلها إلى الظلمة ، أو القسس أو الرأسماليين ، أو الألمانيين . ولو طرحت منابع الشر هذه لحدث تحول عام فى القلوب ، ولعشنا جميعا سعداء أبدا . ولاعتقادهم فى مثل هذه الاعتقادات فقد أريد منهم أن يستمروا فى « الحرب حتى تنتهى الحرب » وبالمقارنة نجد أن المحظوظين هم هؤلاء الذين عانوا الهزيمة والموت ، وهؤلاء الذين حالفهم سوء الحظ ، فظهروا كمنتصرين ، كانوا فى حاجة إلى شىء من احتقار الذات أو الكلبية Cynicism المسيحية ، وكانوا يائسين بتحطيم كل آمالهم البراقة ، والمنبع النهائى لهذه الآمال كان العقيدة المسيحية فى التحول المحتى كطريق للخلاص

وأنا لا أريد أن أقول إن الثورات ليست بضرورية مطلقا ، بل أريد أن أقول إنها ليست أقرب الطرق إلى عودة المسيح[٣] « mileonium » وليس هناك من طريق مختصر إلى الحياة السعيدة سواء أكانت فردية أم اجتماعية ، ولكن لكى نشيد حياة سعيدة علينا أن نشيد الذكاء وضبط النفس والمشاركة الوجدانية ، وهذا أمر كمى ؛ أمر إصلاح تدريجى وتدريب مبكر وخبرة تربوية . والذى يجعل مكانا للاعتقاد فى الإصلاح الفاجئ هو عدم الصبر فقط ، والإصلاح التدريجى الممكن ، والطرق التى يبلغ إليه بها ، أمور قد تكفل بها علم المستقبل ، ولكن فى مقدورنا أن نقول شيئا الآن ، وطرفا مما يمكن قوله . وسأحاول معالجته فى فصل ختامى

عبد الجليل السيد حسن

(٣) يعتقد المسيحيون أن المسيح سيعود إلى الأرض ويحكمها مدة ألف عام ويملؤها عدلا بعد أن ملئت جورا وتدعى هذه الفترة mileonium

شوقية أخرى لم تنشر

للأستاذ عبد القادر رشيد الناصري

قد يعجب قراء الرسالة الكرام في كافة الأقطار الناطقة بالضاد من حبي وإعجابي بشعر خالد الذكر أمير الشعراء شوقي بك. والسبب في ذلك بسيط جداً، وهو أني أعد شوقي القمة الشامخة في الأدب العربي، تلك القمة التي لا يدانيها أحد قط منذ أن وجد بشار حتى الآن إلا حبيب بن أوس الطائي الملقب بأبي تمام، أستاذ الشعراء في عصره، والذي أعده أثقف شعراء زمانه، فحبيب عندي من الشعراء القلائل الذين قلما تجود العربية بهم. وهو يختلف عن ابن الرومي وأحمد بن الحسين بسعة أفقه وخصب خياله وعمق ثقافته. ومن تصفح ديوانه وقرأ شعره قراءة دراسة واستقصاء علم ما أذهب إليه. ولا أريد في هذه العجالة أن أحلل شعره، أو أشير إلى مواطن الإبداع في قصائده، أو أختار له من نفائســه شيئاً، وإنما هي عجالة الجاني إليهـا كلمة جاءت عرضاً، لذلك لم أشأ أن أمر على شعر أبي تمام دون أن أشـير إلى آياته التي أبدع فيها، وخصوصاً بائيته الخالدة ومطلعها:

السيف أصدق إنباء من الكتب ... في حده الحد بين الجد واللعب

ورائيتـه:

الحق أبلج والسيوف عوار ... فحذار من أسد العرين حذار

ونونيته التي تعد في مصاف الرائية:

بذ الجلاد البذ فهو دفين ... ما إن به إلا الوحوش قطين

ومنها هذا البيت الخالد:

قد كان عذرة مغرب فافتضها ... بالسيف فحل المشرق الأفشين

ومنها هذه الأبيات:

نأمادها تموى الثعالب وسطها ... ولقد ترى بالأمس وهي عرين

جادت عليها من جماجم أهلها ... ديم أمارتها طلى وشؤون

كانت من الدم قبل ذاك مفاوزاً ... غبراً فأمست منه وهي معين

وغيرها من القصائد التي يحفل بها الديوان. هذه كلمة مناسبة قلتها وأود أن أتوسع فيها في وقت آخر، وخاصة عند تعرضي لدراسة الدكتور محمد مهدي البصير عن هذا الشاعر؛ تلك الدراسة التي اشترتها منه وزارة معارف العراق العمومية بـ (٧٠٠) دينار وهي لا تستحق حتى الطباعة. فإذا ما قلت في المقدمة إن خالد الذكر المرحوم شوقي بك قمة شامخة في الأدب العربي فأنا لا أتعدى الواقع. وقبل أسابيع نشرت قصيدة له لم تنشر في ديوانه، واليوم أزف لعشاق شعره قصيدة أخرى عثرت عليها عند صديق الأستاذ الشاعر خضر الطائي وهو محقق ديوان المرجي. وقد كان هذا الأستاذ قد حصل عليها منذ سنة ١٩٣٠ ميلادية وبقيت في أوراقه حتى هذه الأيام. وقد نظمها أمير الشعراء شوقي بك في تكريم الأستاذ سامي شوا عازف الكمان المشهور بعد عودته من أمريكا. وها أنذا أزفها إلى تلك الطبقة المثقفة في البلاد العربية كما زففت من قبلها قصيدته «جهاد مصر الوطني». وقبل أن أدرج لهم القصيدة نفسها التي دعاها شوقي بـ «صاحب الفن» أود أن أهمس في أذن صديق الأستاذ علي شوقي بك وزير مصر المفوض في باريس أن لوالده رواية «الست هدى» و«البخيلة» ولا زالتا مخطوطتين! فهل من الواجب الأدبي والوطني أن تبقى مخطوطات سيد شعراء العربيـة في دهاليز النسيان؟! هذا ما أردت أن أعاتب به صديقي علي بك النجل الأكبر لأمير الشعراء، وعسى أن تكون هـذه الكلمة منبهة له أو لأخيه الأستاذ حسين صاحب كتاب «أبي شوقي» ...

لاشك أن القارئ الكريم مل من هذه المقدمة وهو يرغب في الشوقية التي لم تنشر إلا سنة ١٩٣٠ في جريدة مصرية عثر عليها صديقنا الأستاذ خضر الطائي الشاعر العراقي المعروف، وها هي:

صاحب الفن

يا صاحب الفن هل أوتيته هبة — وهل خلقت له طبعا ووجدانا
وهل وجدت له في النفس عاطفة — وهل حملت له في القلب إيمانا
وهل لقيت جمالا في دقائقه — غير الجمال الذي تلقاه أحيانا
وهل هديت لكنه من حقائقه — يرد أعمى النهى والقلب حيرانا
الفن روض عبر القاطفون به — والسارقون جماعات ووحدانا
أولى الرجال به في الدهر مخترع — قد زاده جدولا أو زاد ريحانا
العبقرية فيه «غيره»(١) سالكه — إذا مشى غيره لصا وجبانا
لا تسأل الله فنا كل آونة — واسأله في فترات الدهر فنانا

° ° °

ياواحد الفن في أشجى معازفه — هذا أوان الثناء العدل قد آنا
يارب ليل سمرنا الراح فاختلفت — على بنانك للسمار ألحانا
تلك اللعيبة(٢) من عود ومن وتر — لولا بنانك لم تجمل لها شانا
قد آنست رعدة في الصدر فاتكأت — بجانب الأذن تستوحيك شيطانا
كأنها عش طير هاج آهله — من كل ناحية ينساب أشجانا
ضممتها وتواصت راحتاك بها — ضم الوليدة إشفاقا وإحسانا
على عليها الذي توحى إليك به — كأن «داود» و «المزمار» مابانا
حركتها فأتاها الروح فاندفعت — تبكي وتضحك أوتاراً وعيدانا
ياطيبها حين تحدوها بحنجرة — كطعم النحل أرواحاً وألوانا
مصرية النبر وهابية(٣) عذبت — شدواً ونوحاً وترجيعاً وتحنانا
ذكرت خلقا وراء البحر مغتربا — مآلفاً وصبابات وأوطانا
غنيتهم بأغاني المهد فالتمسوا — في ملتقى القوس والأوتار لبنانا
ولو هتفت «بيتهوفن» ما انصرفت — لك القلوب وإن صادفت آذانا
سقيتهم من سلاف طالما دخلت — عليهم المهد أعنابا وألبانا
فن تعطل منه الشرق آونة — وكان شغل بني العباس أزمانا

بهذا يختم شوقي هذه الرائعة التي قالها في تكريم أمير الكمان الأستاذ سامي شوا عند عودته من أمريكا. ولا أريد أن أعلق عليها بمثل ما علقت على قصيدته السالفة، لأن في العراق أقواما يسوؤهم أن يكون شوقي أعظم شعراء العربية بعد أبي تمام، فهم يريدون أن تقول — وتجازف بالقول — إن الرصافي أعظم منه. وأنا لا أريد أن أجاري هؤلاء ومنهم الدكتور مهدي البصير وبعض أساتذة الأدب العربي في العراق، لأنني أفهم منهم لمعاني الشعر ودقائقه، ولكن على رغم ذلك أقول إن شوقي هو الشاعر المملاق، وغيره من شعراء العراق كالرصافي والزهاوي ماهما إلا أقزام صغار؛ فهلا يعتبر الجاهلون

بغداد — عبد القادر رشيد الناصري

(١) كلمة غير أظنها محرفة
(٢) اللعيبة — تصغير لعبة وهي الدمية
(٣) أي موهوبة *

* (الرسالة) الأقرب إلى الصواب أن تكون وهابية منسوبة إلى عبد الوهاب الفني المعروف وقد كان شوقي شديد الاعجاب به

تعقيبات

للأستاذ أنور المعداوي

«بداية ونهاية» لنجيب محفوظ :

«بداية ونهاية» دليل مادي لا ينكر، على أن الجهد والمثابرة جديران بخلق عمل فني كامل. لقد أتى على وقت ظننت فيه أن نجيب محفوظ قد بلغ غايته في «زقاق المدق»، وأنه لن يخطو بعد ذلك خطوة أخرى إلى الأمام. أقول غايته هو لا غاية الفن، لأن «زقاق المدق» كانت تمثل في رأي الظنون أقصى الخطوات الفنية بالنسبة إلى «إمكانياته» القصصية. ولهذا، خيل إلى أن مواهب نجيب قد «تبلورت» هنا واتخذت طابعها النهائي وتوقفت عند شوطها الأخير.. ومما أيد هذا الظن أن «السراب» وقد جاءت بعد «زقاق المدق» كانت خطوة «واقفة» في حدود مجاله المألوف، ولم تكن الخطوة الزاحفة إلى الأمام!

كان ذلك بالأمس.. أما اليوم، فلا أجد بدا من القول بأن «بداية ونهاية» قد غيرت رأيي في «إمكانيات» نجيب، وجعلتني أعتقد أنه قد بلغ الغاية التي كنت أرجوها له، غايته هو وغاية الفن حين كانت الغايتان مطلبا عسير المنال!

إنني أصف هذا الأثر القصصي الجديد لهذا القصاص الشاب، بأنه عمل فني كامل. هذا الوصف، أو هذا الحكم، مرده إلى أن أعماله الفنية السابقة كانت تفتقر إلى أشياء؛ تفتقر إليها على الرغم من المزايا المختلفة التي تحتشد فيها وتحدد مكان صاحبها في الطليعة من كتاب الرواية!

ماذا كان ينقص نجيب قبل «بداية ونهاية»؟ ماذا كان ينقصه في «خان الخليلي» و«القاهرة الجديدة» و«زقاق المدق» و«السراب»، لقد كان نجيب في هذه الروايات الأربع يملك من الخطوط الفنية ما يتيح له أن يخرج «التصميم العام» للقصة وهو سليم في جملته.. ومع ذلك فقد كان ينقصه عنصر الالتزام الدقيق لحدود «الواقعية الأولى» في عرض حوادث القصة وتوجيه حركات الشخوص. وأقول «الواقعية الأولى» لأن «الواقعية الثانية» كانت هي الساحة الكبرى التي دأب نجيب على أن يعرض فيها أكثر نماذجه البشرية!

إن الفرق بين هذين اللونين من الواقعية هو أن اللون الأول نقل «مباشر» لصور الحياة وطبائع الأحياء، كما هي في الواقع الحس الذي تلمسه العين وتألفه النفس. أعني أن تكون الحادثة القصصية او النموذج البشري مما يقع كل يوم في محيط اللقطة البصرية والنفسية؛ أعني مرة أخرى أن يكون تمثلنا للحوادث والشخصيات تمثيلا شعوريا لا ذهنيا عندما نقارن بين حقيقتها على الورق وبين حقيقتها في الحياة. هذا هو اللون الأول وهذه هي مظاهره، أما اللون الثاني من الواقعية وهو ما نعبر عنه بـ«الواقعية الثانية»، فهو التصوير «التقليدي» لا «الطبيعي» للحوادث اليومية والنزعات الإنسانية. أو هو تلك النسخة من الحياة التي يمكن أن نقول عنها إنها «قريبة» من الأصل، ولا يمكننا القول بأنها «طبق» الأصل، ونسخة كهذه مهما اقتربت من الواقع فهي نسخة «مقلدة» على كل حال.. وقد يكون الفن في جوهره تقليدا للحياة، ولكن رسالة الفنان هي أن يشعرنا بأن المشهد الذي يصوره أصيل لا أثر فيه للمحاكاة. وإلا يترك لنا فرصة للشك في أن هناك اختلافا بين الصورة الحقيقية والصورة المنقولة، أو أن هناك حلقة اتصال مفقودة بين الواقع والمثال!

نجيب محفوظ في أعماله الفنية السابقة هو ذلك القصاص الذي يمثل «الواقعية الثانية» في الكثير الغالب من الأحيان. ولست أنكر أن «للواقعية الأولى» مجالا في فنه، ولكنه المجال «المحدود» تبعا لطريقته الفنية التي تغلب عليه في كتابة القصة. هذه الطريقة الفنية أساسها أن نجيب مولع بأن يضع كثيرا من نماذجه البشرية تحت مجهر التحليل النفسي، ليتخذ من سلوكها الإنساني مادته الرئيسية في تحليل ما يقع تحت المجهر من «حالات مرضية»! قل إذا شئت إنه يطبق بعض الأصول من «علم النفس المرضي» على كثير من أبطال قصصه

« المنحرفين » ، وأنه تبعا لهذا التطبيق يفرض على فنه أن يسير في خط اتجاه نفسي محدد تدور فيه الشخصية « المريضة » من البداية إلى النهاية ؛ تدور فيه بقوة الدفع « المرضية » التي تبرر سلوكها في محيط « الواقعية الثانية » .. من هنا يخرج تجيب بعض الشيء على منطق « الواقعية الأولى » ، لأنه يجبر حوادث القصة وحركات الشخوص على أن تسير نحو غاية معينة ، تحقيقا لمنهجه الفني الذي يلتمس عند النتائج المادية تفسيراً للظاهرة النفسية أو تشخيصا « للحالة المرضية » . ونشعر أن التشخيص النفسي لهؤلاء « المرضى » غير سليم في بعض الأحيان، ومرجع هذا الشعور إلى أن سلوكهم مفروض عليهم فرضا ولا علكون فيه حرية الاختيار !

هنا مفرق الطريق بين واقعيتين : « الواقعية الأولى » و « الواقعية الثانية » .. هذه صورة « تقليدية » للحياة كما قلت ، وتلك صورة « طبيعية » . وموقف الفن بينهما واضح عندما نضع أنفسنا أمام هذه الحقيقة ، وهي أن النموذج البشري في حدود الواقعية الأولى موجود في الحياة « بالفعل » ، وأنه في حدود الواقعية الثانية موجود في الحياة « بالإمكان » .. أي أننا إذا رجعنا إلى بعض الشخصيات التي رسمها الأستاذ محفوظ في أعماله الفنية السابقة ، وسألنا أنفسنا هل هي موجودة بيننا حقا تروح وتجيء ، وتقع عليها العين وتدركها الحواس ، ونشعر نحوها بشيء من الألفة التي تخلق بيننا وبينها نوعا من المشاركة الوجدانية ؟ إذا سألنا أنفسنا هذا السؤال فإننا ننتهي إلى هذا الجواب : وهو أنها غير موجودة « فعلا » ولكنها « ممكنة » الوجود ؛ أي أن وجودها غير متعذر لأن منطق الحياة يهضمه إذا « وجد » وكذلك طبيعة الأحياء . ومن هنا نلمس الفارق الدقيق بين كلمتين : (موجود) .. و (ممكن أن يوجد) ، وبالطبع لا يضيق الفن بالكلمة الأخيرة وإن كان يفضل الكلمة الأولى بلا مراء !!

هذا عنصر من العناصر الفنية كان ينقص نجيب محفوظ . وثمة عنصر آخر كان ينقصه ، وأعني به « التذوق الشعوري » الكامل للحياة .. هناك قصاص فهم الحياة حق الفهم وخبرها كل الخبرة ، ومع ذلك فهو يتذوقها بقدر معلوم لا يتناسب وخبرته العميقة وفهمه الأصيل ؛ فما هو الفارق بين طبيعة « الفهم » وطبيعة « التذوق » في حياة القصاصين ؟ لتوضيح هذا الفارق الفني نقول : إنك تفهم الشيء بعقلك ولكنك تتذوقه بشعورك ، أعني أن الفهم أداته الذهن الفاحص، وأن التذوق أداته الإحساس الرهيف .. إنها طاقتان : طاقة عقلية وطاقة شعورية ، والذين قويت عندهم الطاقة الأولى وضعفت الثانية هم الذين تتوقد في نفوسهم شعلة الفهم ، وتخبو شعلة التذوق ، بالنسبة إلى كل قيمة من قيم الأشياء وكل معنى من معاني الحياة . إن هناك مثلا من « يفهم » قصيدة من الشعر ؛ يفهم فيها اللفظ والمعنى ، ويفهم فيها الوزن والقافية ، ويفهمها شرحا إن طلبت إليه الشرح والتفسير . ومع هذا كله فهو لا يستطيع أن « يتذوق » فيها الوحدة الفنية ، ولا الظلال النفسية ، ولا التجربة الكبرى وهي مصبوبة في بوتقة الشعور .. وقل مثل ذلك عن الذي يفهم « النوتة الموسيقية » للحن من الألحان ، ثم لا يتذوق جمال اللحن ، ولا يهتز فيه لروعة الإيقاع ، ولا يستجيب لأنغامه التصويرية !

إن فهم الحياة هو أن نفتح لمشاهدها أبواب العقل ، وأما تذوق الحياة فهو أن نفتح لتجاربها أبواب القلب .. إننا « نراها » هناك تحت إشعاع الومضة الفكرية ، و « نتلقاها » هنا تحت تأثير الدفقة الوجدانية ! وعلى مدار هذه الكلمات تستطيع أن تنظر إلى نجيب محفوظ في أعماله الفنية السابقة .. إنك لا تستطيع أن تجرده من التذوق الشعوري للحياة ، ولكنه التذوق العابر الذي لا يتناسب وخبرته العميقة بها وفهمه الأصيل !

ويبقى بعد ذلك عنصر فني ثالث كان ينقص هذا القصاص الرهوب .. أتدري ما هو ؟ هو تلوين الأسلوب القصصي تلوينا خاصا يتلاءم وجو المشهد المصور ، أو طبيعة النموذج البشري المرسوم .. في القصة مثلا موقف إنساني يتطلب عند تصويره أسلوبا معينا تتوفر فيه لمات الشاعرية ، وموقف آخر لا نحتاج فيه إلى مثل هذا الأسلوب الشاعري ، عندما نتناول الملامح المادية لمشهد من المشاهد أو لشخصية من الشخصيات ، بأسلوب السرد الفني المألوف الذي تحتشد له القدرة على التقاط الجزئيات ، وهناك موقف ثالث يفرض علينا أن نعالجه بأسلوب آخر هو

أسلوب التجريد والتحليل ، حين تعترض طريقنا تلك اللحظات الزاخرة بألوان من الحركة الذهنية أو النفسية !

نجيب محفوظ فى أعماله الفنية السابقة يكاد يستخدم أسلوبا واحدا فى تصوير شتى المواقف والسمات ، وأعنى به أسلوب السرد الفنى المألوف .. مثل هذا الأسلوب إذا ارتضيناه فى تلك المواقف المهيأة لتجسيد الملامح المادية المشاهد والشخوص ، وتجاوزنا عنه فى تلك المواقف الأخرى المخصصة لتسجيل الحركة الجائشة فى الذهن أو المختلجة فى الشعور ، فإننا لا يمكن أن نسيغه بالنسبة إلى المواقف الإنسانية ، لأنه يفقدها طابع الجو الشعرى الذى يجب أن تعيش فيه ، هذا الجو الذى إذا فقدته تعرضت للجمود واعتراها الفتور !

كل من هذه العناصر الفنية الثلاثة التى كانت تنقصه بالأمس : عنصر الالتزام الدقيق لحدود « الواقعية الأولى » ، وعنصر « التذوق الشعورى » الكامل للحياة ، وعنصر « التلوين الخاص » للأسلوب القصصى ؛ كل منها قد احتشد له اليوم فى صورته القوية الرائعة فى « بداية ونهاية » ، وإذا هذه الرواية القصصية تعد فى رأى النقد عملا فنيا كاملا لا مثيل له فى تاريخ القصة المصرية . باستثناء « عودة الروح » لتوفيق الحكيم !!

« بداية ونهاية » قصة مصرية تمثل حياة أسرة . . أسرة تذوقت طعم الفقر وتجرعت ذل الفاقة ، بعد أن فرقت بينها وبين عائلها تلك اليد التى تفرق بين الأحياء . والفقر وحده هو المسئول عن البناء الذى تصدع والشمل الذى تبدد ، شمل الأسرة الكادحة التى كان للتضحية عند كل فرد من أفرادها طعم ومذاق ... الأم ، وحسين ، وحسن ، وحسنين ، ونفيسة ؛ كل نموذج من هذه النماذج البشرية التى كونت الهيكل الإنسانى العام للقصة ، قد فهم التضحية فهما خاصا وكانت له فيها وجهة نظر خاصة ؛ وجهة نظر حددت الطريق وقررت المصير . . كانوا فلاسفة حياة ؛ فلاسفة أخضعوا الفلسفة لمنطق الشعور المحترق بلهب الحرمان ، حتى خرج بعضهم من هذه الفلسفة وهو منحرف العقل مريض النفس ، والفقر وحده هو المحور الرئيسى الذى دار حوله السلوك الإنسانى لهؤلاء المرضى المنحرفين !

هذه الأم العظيمة كان عليها أن تكافح بعد موت الزوج لتخلق من هؤلاء الصغار رجالا يواجهون الحياة ، وهؤلاء الأبناء الأربعة لم يكن لهم مورد فى الحياة غير تلك الجنيهات الخمسة التى كانت تأتيهم من معاش الوالد الراحل ؛ كامل افندى على الذى أنفق فى خدمة الحكومة زهرة العمر وعصارة الشباب ! وماذا تفعل الجنيهات الخمسة لأسرة تواجه مطالب الحياة من مأكل ومسكن وملبس ومحافظة على المظهر القديم أمام الناس ؟! هنا يبرز دور الأم . الأم الصابرة العاقلة الحازمة المكافحة فى سبيل البقاء . لقد باعت أثاث البيت قطعة بعد قطعة لتسكت البطون الصارخة من وطأة الجوع ، وهجرت « الشقة » التى كان يدخلها النور والهواء ولجأت إلى أخرى عشش فيها البؤس والظلام توفيرا لقروش معدودات ، وقضى حسنين وحسين أيام الدراسة الثانوية بلا « مصروف » يوحى بشعرهما بأن للحياة فرحة يستشعرها الصغار من الأحياء ، ومضت نفيسة تطرق الأبواب لتحصل لهم على الأجر الضئيل الذى كان يأتيها من حياكة الثياب بين حين وحين ، وهام حسن الذى دلله أبوه حتى طردته المدرسة ونبذته الحياة ، هام على وجهه فى الطرقات بحثا عن لقمة العيش من كل طريق غير شريف !

ودارت عجلة الزمن والأم العظيمة الصابرة ما زالت تكافح .. كانت الطريق طويلة ، رهيبة ، قد انتثرت على جانبيها الصخور . ومع ذلك فقد مضت فى طريقها لا تلوى على شئ : يد تجفف العرق المتصبب من حرارة الكفاح ، ويد تدفع إلى الأمام بالقافلة المكدودة التى أنهكها طول المسير ! لقد كان هناك أمل .. أمل يتراءى على جنبات الأفق البعيد فينسيهم أنهم مشردون وإن ضمهم مسكن ، عراة وإن سترهم ثوب ، جياع وإن حصلوا على الرغيف . أمل يتمثل فى الغد القريب الذى سيفتح عينى الأم الصابرة المكافحة على منظر فريد ، تسعد فيه برؤية الصغيرين وقد أصبحا رجلين ، يشغل كل منهما بعد الفراغ من التعليم مكانه المنتظر فى دنيا الناس !

وجاء الغد المرتقب يحمل إليهم أول بشرى . . لقد ظفر

حسين بالبكالوريا والتحق بإحدى الوظائف في مدينة طنطا . قبل الوظيفة الصغيرة ليستطيع أن يمد يد العون إلى أسرته . أخوه حسنين ، أمه ، أخته نفيسة ، كان من الظلم ألا يختصر طريقه في الحياة ليخفف عنهم جزءا من أعباء الحياة . ترى أكان يمكنهم أن يصبروا على شظف العيش حتى ينتهي من دراسته العالية ؟ محال ! وحين اطمأنت نفسه إلى هذه الحقيقة أقدم على التضحية وهو سعيد مرتاح البال

لقد ضحى حسين بآماله العراض . . إن المصير الذي ينتظره لن يفترق عن مصير أبيه ، وهو مصير الألوف من الموظفين الصغار ! مستقبل محدود مظلم ولكنها فلسفة حياة . . وفلسفة الحياة تفرض على أصحابها التضحية في كثير من الأحيان !

ونفيسة . . لقد ضحت هي الأخرى وكانت التضحية فادحة ، ضحت بالشرف الغالي والعرض المصون . . كانت فقيرة ، ودميمة ، وأين هو الزوج المأمول وقد حرمت إلى الأبد عزة المال ونعمة الجمال ؟ رجل واحد يستطيع أن يقبلها زوجة وتعيش معه تحت سقف واحد ، رجل مضيع في الحياة مثلها فقير دميم ! ولقد وجدت يوما هذا الرجل . . هذا الحيوان الذي استجابت له مرغمة تحت تأثير الحلم الجميل ، حلم كل عذراء قبيحة الوجه وجدت بعد طول انتظار من يقول لها إنك جميلة ، يا زوجة الغد القريب !

وسقطت نفيسة . . وفر الحيوان الذي سلبها الشرف وتركها وحيدة تواجه الخاتمة في معركة المصير . وقالت لنفسها يوما : ماذا بقي لك يا بائسة ؟ لا مال ، ولا جمال ، ولا شرف . . هل بقي شيء تحرصين عليه ؟ هل هناك ذرة من أمل في زوج جديد ؟ وحين قهقه في أعماقها الجواب . . انطلقت تلبي رغبات الجسد عند كل عابر سبيل ! وأمها ، وإخوتها ، لا أحد يعلم بما انتهت إليه من ضياع . انحدار إلى الهوة السحيقة الرهيبة ولكنها فلسفة حياة . . وفلسفة الحياة تفرض على أصحابها التضحية في كثير من الأحيان !

وحسن ، ذلك الشريد الهائم في الطرقات . . ماذا فعلت به القادير ؟ لقد جاع . . جاع لأنه لا يصلح لأي عمل « نظيف » ، لقد فقد القدرة على أن يحيا حياة نظيفة ، مرتبة ، هادئة ، فيها أمن وفيها استقرار ! هناك في الحياة خط سير يستطيع أمثاله أن يسلكوه . . خط سير يعج بالدروب والمنحنيات التي تختنق فيها الكرامة ، والشرف ، والفضيلة ، والإنسانية . . قيم ستختنق إلى الأبد ، ومثل ستذهب إلى غير معاد . . ولكن ستظهر بعدها اللقمة الدسمة التي تشبع كل معدة خاوية ، وسيقبل في إثرها الثوب الجديد الذي ينعش كل جسد مهان ، وستخطر البسمة المشرقة التي تمد كل شعور ملتاع ، وهذا هو خط السير الذي سلكه الفتى الشريد . . يتجر بالمخدرات ، ويعيش مع العاهرات ، ويالها من حياة . حياة ينكرها عليه الشرفاء من أسرته وفي طليعتهم أخوه حسنين ، ذلك الفتى الطموح الذي تخرج في الكلية الحربية وأصبح ضابطا في سلاح الفرسان !

من فيض هذه الحياة الآثمة الهابطة استطاع حسن أن يحلق من العدم حياة أخوين . . ساعد الأخ الموظف حتى استقر في وظيفته ، ساعده بتلك الأساور الذهبية التي سطا عليها من بيت عشيقته ذات صباح ، ولولا التضحيات الهائلة التي قدمها لأخيه الضابط لما استطاع أن يسدد أقساط الكلية الحربية ، وأن يرتدي الحلة الأنيقة ذات النجمة الصفراء . . ومع ذلك يعيره الضابط الشريف بحياته الشائنة ، ويحاول جاهدا أن ينتشله من وهدة الإثم والهوان ! لقد انحرف حسن وحاد عن الطريق ، ولكنها فلسفة حياة . . وفلسفة الحياة تفرض على أصحابها التضحية في كثير من الأحيان !

أما حسنين ، الملازم حسنين كامل علي فقد كانت تضحيته من ذلك النوع النادر في حياة البشر . كان فتى طموحا منذ نشأته الأولى في « عطفة نصر الله » بحي شبرا ، تلك العطفة الحقيرة التي لم تحد من طموحه يوم أن كان تلميذا صغيرا بالمدرسة التوفيقية ! كان طموحا رغم فقره ، ورغم حاجته ، ورغم البيئة التي نشأ فيها ولم تكن توحي لأحد من أبنائها بأمل أو طموح . . إنه يقارن منذ أن صار ضابطا بين يومه وأمسه ، فيشعر بهول

الفارق بين حاضره وماضيه! هذه العطفة الحقيرة التي شهدت أيام بؤسه وبؤس أسرته يجب أن تغادرها الأسرة إلى مكان بعيد؛ مكان يدل على الماضي البغيض ستارا من النسيان.. حسبه أن تلك العطفة القذرة قد شهدت أثاث بيتهم وهو يباع قطعة بعد قطعة ليبشوا على الكفاف. وحسبه مرة أخرى أن تلك العطفة القذرة قد شهدت أخته نفيسة وهي تسعى إلى كسب عيشهم بعد أن كلت قدماها من السير وتعبت يداها من طرق الأبواب. وحسبه مرة ثالثة أن تلك العطفة القذرة قد شهدت رجال البوليس وهم يقتحمون السكن الذليل بحثا عن أخيه المجرم الطريد.. كل شئ قد قد يستطيع حسنين أن يصلحه إلا شيئا واحدا يتعذر بمه الإصلاح، وهو أن يهتدي حسن إلى الطريق القويم! لقد استطاع الفتى الطموح أن ينتقل بأسرته إلى مصر الجديدة، وأن يرد إلى نفيسة كرامتها وكرامة الأسرة حين حال بينها وبين الهوان!

وهناك، في ذلك المكان الجديد الآمن تنفس حسنين الصعداء.. لقد بدأت الحياة تبتسم بعد طول التجهم والعبوس، حين انقطعت أخبار حسن الذي كان يهدد طموحه وسمعته ونظرته إلى المستقبل كلما فكر فيه! و «بهية»، تلك الفتاة التي أحبها في عطفة نصر الله وخطبها إلى أبويها وهو تلميذ صغير؛ تلك الفتاة «البلدي» الفقيرة الساذجة لم تعد تصلح لأن تكون زوجة لضابط عظيم.. إن زوجة المستقبل وشريكة الحياة هناك في ذلك القصر الأنيق الذي ذهب إليه «خاطبا» منذ أيام. إنه يريد أن يقطع كل علاقة كانت تربطه بعطفة نصر الله، ولو كان له في تلك العطفة حب قديم، حب قضى بين أحضانه أجمل أيام العمر وأسعد لحظات الشباب!

لقد اختفى حسن، واستقرت نفيسة، وذهبت بهية، وبقي أن يفتح القلب على مصراعيه ليستروح أنسام السعادة التي كان يحلم بها منذ بعيد.. ولكن القدر لا يريد للأسرة البائسة المسكينة أن تستريح، ولا يريد للفتى الطموح الآمل أن يسعد بأحلامه وأمانيه! لقد هوى بضرباته السريعة المتلاحقة على أحلام العمر فبعثرها مع الريح في كل طريق.. لقد حيل بينه وبين حبه الجديد، حين رفضت الأسرة العريقة المترفعة أن تصاهر ضابطا يتهامس الناس حول أخته ويتحدثون عن أخيه. وحين أفاق الملازم حسنين من الصدمة الأولى زلزلت كيانه الصدمة الثانية، حين جيء إلى بيته بأخيه حسن محمولا تنزف منه الدماء، وعليه أن ينتظر اللحظة الرهيبة المقبلة في أعقاب الشقيق المجرم طريد القانون.. وأقبلت اللحظة الرهيبة المنتظرة، حين طرق الباب رجل من رجال الشرطة ليستدعيه إلى قسم البوليس. حسن! بالطبع ليس هناك غير حسن، تلك السحابة السوداء في أفق ينذر بالغيوم.. وحوله، حوله وحده ينتظره هناك سؤال وجواب!

وفي قسم البوليس وجد أخته الساقطة بدلا من أن يجد استجوابا عن أخيه الطريد.. لقد ضبطت نفيسة في بيت يدار للفساد!! وأظلمت الدنيا في عينيه وضاق الفضاء.. لقد فقد كل شئ: فقد حبه، وفقد أمله، وفقد سمعته، وفقد في الحياة القصيرة التي ملأها بالأحلام كل حلم جميل! وأخذ أخته وخرج إلى أين؟ لايدري فكره ولا تدري قدماه.. إن في أمواج النيل الحانية مثوى لكل بائس شريد منبوذ من الحياة، هكذا قالت له نفيسة حين سألها أن تحدد لنفسها الطريق! ومضت أمامه ومضى خلفها إلى هناك.. إلى حيث يتاح لليائسين أن يعرفوا طعم الراحة بعد طول العناء! وقال الملازم حسنين لنفسه: لقد حكمت عليها بالإعدام فقبلت الحكم وهي راضية صابرة مستسلمة للقضاء.. وما كان أشجعها وهي تستقبل الموت وكأنها تستقبل الزوج الحبيب الذي قضت العمر تفتش عنه في دروب الأمل.. امرأة ضحت بأيام الحياة فرارا من قسوة الحياة، وأنت؟ أنت يارجل، ماذا تنتظر؟!

ترى هل كان الملازم حسنين شجاعا حين لحق بنفيسة، أم كان جبانا حين فر من لقاء الناس؟ مهما يكن من شئ فقد كانت تضحيته فلسفة حياة.. وفلسفة الحياة تفرض على أصحابها التضحية في كثير من الأحيان!

أنور المعداوي

رسالة الفن

في عالم النقد :

الوجـــودية

« مهداة الى الدكتور محمد القصاص »

للأستاذ على متولى صلاح

يكتب الكثيرون عن الفلسفة الوجودية ، وعن المذهب الأدبي الوجودي ، فيتهمون المذهب بالشذوذ والانحراف عما يقضى به العقل السليم ، ويرمونه بأنه انتكاس للطبيعة الإنسانية ، ورجوع بها إلى حال الهمجية والبدائية الأولى ، وهم فى ذلك لم يبلغوا من فهم هذا المذهب شيئا ، ولم يدرسوه دراسة تبيح لهم أن يتناولوه بهذه المطاعن ، والناس — بعد — أعداء ما جهلوا ، وهم أسرع إلى الاتهام ، وأشد نهضة إلى كلمة السوء !

وكان آخر ما كتب فى هذا الصدد تلك الكلمة الفجة المبتسرة التى كتبها الأستاذ أحمد الصاوى محمد فى « الأهرام » منذ أيام ، فلم يبسط فيها رأيا ، ولم يتكلم فيها بشئ عن قواعد المذهب الوجودى ومقوماته ، ولكنه ابتدر أصحابه بالإساءة رأسا حيث كتب يقول : —

« هل المخلوق ليس إلا عدماً ! ؟ من ذا الذى يقول ذلك غير زعيم « الوجوديين » جان بول سارتر زعيم ذلك الخليط العجيب من الناس الذين اجتمعت كلمتهم على تقبيل بعضهم بعضا فى المقاهى دون أن يعرف بعضهم بعضا ؟ . لقد شهدت باريس أمس روايته التمثيلية الجديدة « الشيطان والله سبحانه » ! ولم يجتمع لرؤيتها أولئك « الحرافيش » الذين ينتسبون إلى أستاذهم ؛ وهم فى ثياب مهلهلة مفتوحة ، بل اجتمعت طائفة من أشهر نجوم السينما . »

والعجيب فى أمر هذا المذهب أنه — ولو أن زاعمه لم تتفتح بعد — قد تعرض لأذى كثير ، وسخرية كبيرة من الناس ، ونقم عليه الشيوعيون والبورجوازيون وأصحاب المذاهب المتطرفة كما نقم عليه الوطنيون والاستعماريون المحافظون ، وامنه الكاثوليكيون والراديكاليون الفرنسيون ، وأولئك يعادون الكاثوليكيين أشد معاداة ! واتخذه الناس رمزاً للقبح والسفه ، حتى ليروى جان بول سارتر أن سيدة فرنسية تعتذر عما يصدر منها من عبارات غير كريمة فى ساعات غضبها بقولها « يبدو أنى قد أصبحت وجودية » !

ولكن أصحابه صامدون لهذا الأذى الذى يتناولهم الناس به ، مؤمنون بأنهم يقومون للانسانية بأجل خدمة ، إذ ينشرون مبدأ « الحرية » والعزة والكرامة الإنسانية ، ويبشرون بأن الإنسان هو أثمن شئ فى الوجود ، وبأنه يجب أن يحيا كريما عظيما حرا

والوجودية لا تذهب هذا المذهب الذى ألصقه بها الأستاذ أحمد الصاوى فى زعمه أنها لا ترى فى المخلوق إلا عدما !

إن المذهب الوجودى لا يرى هذا الرأى ، وإنما يرى نقيضه تماما ، إنه يرى الإنسان هو كل شئ فى هذه الحياة ، ويراه محور كل هذه الدنيا التى نعيش فيها ، إليه يرجع كل عمل ، ومنه يصدر كل تغيير أو تعديل لأوضاع الحياة ، ومن أجله تقوم التشريعات والتقاليد والنظم ، فكيف يراه عدما وهو فى رأيه جماع ذلك كله ؟

تقوم الوجودية على فلسفة ومذهب فى الأدب ينقض كل ما سبقه من مذاهب أدبية كالسوريالية والواقعية والرومانتية وما إلى ذلك من المذاهب الصغيرة كالدادية والتكعيبية وسواهما من مختلف المذاهب

أما الفلسفة الوجودية فتقوم على أن الإنسان هو الكائن الوحيد الذى له كامل الحرية فى تكوين ماهيته على الوجه الذى يراه ، وعلى الصورة التى يبتغيها ، وهو يقوم بذلك قويا قادرا غير خاضع للبيئة والظروف كما تنادى بذلك نظرية « تين » ، ولا خاضع للاطار العام للدولة كما ينادى بذلك « كارل ماركس » الذى يجعل من الإنسان آلة أو أداة فى يد الدولة لا أكثر ولا أقل ! لا يدور إلا فى فلكها ، ولا يتعدى تفكيره تفكيرها

وفى هذه الفلسفة السرترية ما يأباه علينا إعاننا ، وليس من بأس أن نتركه ولا نستمسك بأهدابه ، ولا على المذهب الأدبى السرترى بعد ذلك من بأس إذا هجرنا الفلسفة السرترية واستمسكنا به ، ونبذناها واتبعناه ، وإن كان فى حقيقته وجوهره منبنيا عليها ومتفرعا عنها

وأما المذهب الأدبى الوجودى الذى ينادى به جان بول سارتر : فإنه يقوم على ما يسمى « التزام الآداب » ومعناه أن يكون للأدب هدف ، وأن يكون الأدب فى الحياة عملا إنشائيا إيجابيا فى خلق الحياة الفاضلة ، وتغيير الحياة السيئة وتطويرها ، فالكاتب الذى التزم الكتابة قد حمل نفسه مسئولية عظمى فى هذه الحياة ، أو على الأصح حمل نفسه أعظم مسئوليات الحياة جميعا ، فهو يكتب لا لتزجية فراغ ، ولا لإظهار البراعة اللفظية والمقدرة اللغوية ، ولا ليقيم مهرجانات ومواكب من المباراة الموسيقية الخلابة . ولكنه يكتب ليكشف الحياة لنفسه وللناس ، ثم ليدعو الناس إلى عمل ما بإزاء هذه الحياة ، يدعوهم إلى حبها إن كانت تستحق الحب ، وإلى تغييرها إن رآها تستوجب التغيير ، وإلى هدمها واقتلاعها من جذورها إن وجدها جديرة بذلك . فالكتابة — عند المذهب الوجودى — عمل من الأعمال أو قل إنها أهم عمل من أعمال الحياة ، وعلى الكتاب تقع مسئولية ما فى الحياة من عوج وشذوذ وفساد أول ما تقع ، والكلمات عند سارتر إنما هى أسلحة نارية ، ومن تكلم أو كتب فقد أطلق هذه السهام ، والكاتب مسئول عن الحياة اليومية الواقعية للناس وللوجود ، ومن هنا كان اشتقاق اسم هذا المذهب الذى يشارك فى الوجود وفى الحياة مشاركة فعالة ، منتجة مغيرة ، هدامة فى بعض الحالات ، والكتاب مشتركون ، أو هم قادة للجهاد السياسى والاجتماعى والاقتصادى فى الحياة التى يعيشونها ، وعليهم أن يعرفوا ذلك تماما ، وأن يفترضوا لما يكتبون أوسع انتشار وأعظم دوى وأبعد صدى

والوجودية — فى تحميلها الكاتب كل هذه المسئوليات — إنما تلتمسها من الحرية العريضة التى تفترضها فيه ، إنها تفترض فيه حرية شاملة كاملة لا يحد منها شئ ، حرية لا تنشئها مثل ومبادئ سابقة ، ولا تقهرها ظروف أو بيئة ، فالكاتب الحر قدير على أن يهزم هذه الظروف ويرتفع على تلك البيئة ، ولا تحدها وطنية ضيقة ، فالكاتب الوجودى لا يقف عند حدود وطنه ، بل يتعداه إلى دفع الظلم أيا كان موطنه ، ومحاربة الفساد فى أى مكان يراه ، فسارتر مثلا دافع عن الزنوج وانتصر لهم على الأمريكان فى روايته المسماة « القحبة الحفية » التى قام بترجمتها الكاتب الوجودى المصرى « الدكتور محمد القصاص » والتى نرجو أن ينشرها على الناس حتى يتعرفوا بحق بعض المبادئ الإنسانية العالية التى ينطوى عليها المذهب الوجودى

والوجودية تطلب إلى الكاتب ألا يهرف فى الهواء ، ويرثى الحريات المضيعة ، ويبكى الظلم فى الحياة ، ويذرف الدمع سخينا على خلو الحياة من العدالة وما إلى ذلك . إن الوجودية لا تعرف هذا النواح فى الهواء الطلق ، ولا البكاء فى الخلاء العريض ، ولكنها تطلب إلى الكاتب أن يحارب ظلما بعينه واقعا من ظالمين بأعينهم على مظلومين بأعينهم ! إنها تطلب إلى الكاتب أن ينظر حواليه ، فإن وجد ظالما أخذ بتلابيبه وحاربه حربا لا هوادة فيها ولا رحمة ، فإن سكت الكاتب عن ظلم يراه ويشهده فقد خان الأمانة وخرج — بسكوته عن محاربة هذا الظلم — على قواعد المذهب الوجودى الصحيح

والوجودية تطلب أن يكون الناس متفقين مع أنفسهم ، صادقين معها فى السر والعلن ، يحملون مسئولية ما يفعلون ، ولا يتنصلون من عمل يعملونه ، وألا يكونوا أوغادا منافقين يصنعون ما يطلبه إليهم ذلك الشاعر الذى يقول : —

فالبس لحال جديدا والبس لآخر رثا !

تلك هى الخطوط الرئيسية جدا ، للمذهب الوجودى ، قصدنا بها إيضاح حقيقة هذا المذهب وإن كان إيضاحا يسيرا قصيرا . وما أحرانا نحن المصريين أن نستمسك بأهداب هذا المذهب ، فالفساد عندنا منتشر ، والنفاق عندنا عام مشترك ، والحريات عندنا مضيعة مهدرة . وما أحرانا — قبل ذلك كله — ألا نخوض فى حديث لم نسبر غوره ، ونتعرف — بعد — وجه الرأى فيه ، كما يفعل أولئك الذين يعيبون المذهب الوجودى . وأغلب الظن أنهم لا يعرفون منه إلا اسمه !

على متولى صلاح



أسرار النفس

تأليف الدكتور أحمد فؤاد الأهوانى

للدكتور زكى المحاسنى

أحب أن أعرب عن خواطرى فى تأليف الفلسفة الحديثة. فإن كثيرا من كتبها التى صدرت فى السنوات الأخيرة كان مترجما إلى العربية من اللغات الغربية، أو مقتبسا أو مصنوعا للطلاب يتدارسونه فى معاهدهم. ولم أجد سوى القليل من كتب الفلسفة بمعناها الصحيح الذى يكون دراسة للفكر والشعور، وفيضا للتأمل، أو حكما على المجتمع، وتجربة ذاتية المؤلف

من هذا القليل المنثور كتاب « أسرار النفس » للدكتور أحمد فؤاد الأهوانى. ولقد شعرت وأنا أقرأ هذا الكتاب أنى أعيش فى عالم فلسفى مع الفلاسفة، فرحت أجول فى صفحاته وآرائه بنظرى وعقلى. وكانت نفسى تنجلى كلما مضيت شوطا فى القراءة والتأمل. فما أجمل أن نقرأ صور العقول مرسومة على الصفحات يخاطبنا أصحابها بسديد من آرائهم، ويزجون لنا بمناظر من نفوسهم

كتب الدكتور الأهوانى كتابه هذا بروح فلسفية مجربة. فليس هذا الأثر مدرسيا صنعه من أجل طلابه وتلاميذه، وإنما جعله مرآة يستطيع كل مفكر أن يرى فيها نفسه، وأن يتلمس عندها حسه. إنه تجاريب بسيكولوجية، وتأملات فلسفية صافية فى الكون والفساد، والحياة والمشاعر، وفى وصف الأحاسيس، والتشريح الروحى

مضيت فيه شوطا أستكشف معانى لمسى وشمى، وأسبر أعماق ذوقى وسمعى، لأجد عوالم لاتنتهى. ومن حظنا — مع فنائنا على الأرض — أن نمرح قليلا فى تفهم كوننا الذاتى، ومعرفة أنفسنا؛ لنعلو على طبقة الحيوان الأعجم. وجميل بالفيلسوف البصير أن يدلنا على نفوسنا دلالة محكمة، ويمضى بنا وهو حامل مصباحه الوقاد ليبدد لنا فى ظلمات نفوسنا أغوارها الدامسة

ما أقدر الدكتور الأهوانى على ربطه الذوق بالشم، وما أجود فلسفته التى ركبها على محور نصبه بين الأذن والعين. «العين هذا الإبداع الإلهى الذى تجلس من حواليه كل عدسات المناظير وهى حيرى فى تكوينه، حسرى عاجزة عن مجاراته». كذلك كان المؤلف الحكيم يربط بين خلجات الأنفس ومشاعر الوجود، داخلة إلى دنيانا الروحية من مسالك السمع وشقوق النظر. وحين تبحر فى تفصيل الذوق ذكرنى بقولة قالها فولتير وهى: « أستاذك ذوقك » وقد تناول فى هذا الفصل ذوق اللسان وأذواق الأرواح

ومن ههنا تتجه فلسفة هذا المفكر الأديب اتجاها اجتماعيا ينساب إلى أذواق الأقوام فى طعامهم ومعايشهم. وهل كان أجدى على الناس من البحوث التى تتناول روح الجماعات فى ذوقها وحسها.

وحين فرغ من بابه الذى سماه: « على الدرب » استطعت أن أعرف منهجه فى التأليف: فهو يطرح الموضوع طرحا، ثم يطرقه من أطراف شتى ليستنتج منه حقائق فى البشر والوجود، يصوغ منها عظات بالغات، ثم يطبق آخر الأمر أحكامه على بلده وقومه فينتقد ويوجه أو يفند؛ فهو بذلك مفلسف أو مصلح

وأرانى أنظر فى فصول بكتابه لها لون آخر، ولاسيما الفصل الذى فيه انتقال الفكر من إنسان إلى آخر. وهذا هاجس يعجبنى؛ فقد جربت أن أنقل ما يدور برأسى إلى أناس معى، فكنت أصيب قليلا وأعثر فى الخطأ كثيرا. وقفت مرة على جزار فى دمشق فرأيت المنوم الدكتور سلمون يشترى لحما. وكان مبلا من مرض، وأعصابه مكدودة. فلم أشأ أن أمازحه بشئ من التأثير الفكرى فما كدت أقف قريبا منه دون أن يرانى حتى التفت إلى وقال:

— لا تشفق على فإنى أستعيد قدرتى على قراءة الأفكار. وقد عرفتك الساعة تفكر فى انهدام نال أعصابى فتزهد فى مزاحك

وخرج الدكتور الأهوانى من انتقال الأفكار إلى السحر الذى يعرفه العامة فى مصر، فساق شواهد من سحر الأقدمين مسحوبة إلى عصر المحدثين، ثم أجال الطرف فى شجون الروح وشؤونها، وانتقالها وتعبيرها، حتى أوشك أن يحطنا حول مائدة

خشبية تنقر الروح عليها نقرات هي رموزها الغيبية . ثم ألزم بحثه هذا مبهم نقده فشق به شهودة الشموذين ، وكذب الدجالين .

وجره هذا البحث الأسطوري إلى بحث آخر هو أعلق بالحياة وأحلى ، هو الاتصال الروحي وقديماً قيل : « بين الروح والروح سبيل »

قلت في مستهل الكلام إن الدكتور الأهواني فيلسوف مجرب . ففي كتابه كثير من الشواهد التجريبية . وكان خير الفلاسفة أهل التجاريب . . . وفي كل إنسان مقدرة على هذا الاتصال الروحي تبدو فيه قوية أو ضعيفة . وبرموزها الصفاء ، فكلما صفت خواطرنا ، ورقت نفوسنا ؛ اتصلنا بأرواحنا ، وهذا بعضنا إلى بعض ولو كان بيننا ضيق الحدود . ولقد سمعت بعض الصوفيين يعزي في الحب نفسه ويقول :

— إني لأعشقها من غير أن تعلم بي

ثم سدد بطرفه شطر الأفق وقال :

— لا أطمع بوصال ، حتى الزوال

كنت عصاري يوم في القاهرة منذ ثلاث سنين ، مزمعاً من الغداة عودة إلى دمشق ، وبي شوق ولهفة إلى رؤية صديق فقلت لا بد من ذلك قبل السفر . وانطلقت لأبحث عنه في الدروب وإذا بي ألقاه في غير مشقة بناصية « عماد الدين » فابتدرني بقوله .

— والله خشيت سفرك دون أن أراك ، فأنا الساعة أبحث عنك

ويأبى على فيلسوفنا المؤلف طبعه فلا يفوت على قرائه ولا على نفسه بحثاً هو اليوم من أطرف بحوث الفلسفة النفسية المعاصرة ؛ ذلك كلامه على الأحلام . وكنت أوثر أن يتفرغ هذا الصديق إلى كتاب يصنفه في قضية الأحلام عند المسلمين والمفسرين كابن سيرين وأضرابه . وكيف تطورت الأحلام في الفلسفة الحديثة حتى صارت من أروع البحوث في التحليل النفسي عند الفلاسفة الفرويديين

ومنذا الذي خلا ليله من حلم . إننا لنرقد جميعاً مثل الأطفال ، وحين يسيطر علينا الكرى بسحره الأزلي ويطرحنا في المضاجع هناك ترف على جفوننا رؤى لا حد لها . رؤى زاهية التلوين ، أسطورية التكوين ، منسوجة من خيوط جنية . ونستفيق بغتة فلا نعلم لها سبباً . تفر من أيدينا بمباهجها ونعيمها وجمالها الإلهي الذي لا مثيل له في الوجود . فإذا حلمنا بخير وددنا لو كان حقاً ، وإذا رأينا في المنام شروراً فزعنا إلى اليقظة فحمدناها أن لم تكن الشرور جائحة في الحقيقة

تلك أسرار نفوسنا . فمن يدلنا عليها ؟ . لقد صنع جميلاً المؤلف الأهواني في أن يعرفنا بأنفسنا ، ويغوص بنا على أسرارها الرهيفة ، فكان كتابه أحد ذخائر العصر في علم النفس الحديث . سأقول له حين ألقاه :

— لقد أدخلتنا إلى بيوت أنفسنا . وفي نفوسنا مجال لمنظر لا ينتهي التطلع إليه مدى الحياة ...

فإذا بدأت كلامي على إيثاري لفلسفة التجريب أعجبت لخواتيم المؤلف في كتابه حين ورد كلامه على العداوة والمودة فلم يقع في نقص القادرين على التمام ؛ وأعان ببراعته على ردنا إلى نفوسنا — وقد تركناها — وكان له أسلوب المحدث المتبسط ، وقلم الكاتب المترسل . وحين انتهيت من قراءة كتابه ذكرت من أجله معجزة القرآن الكريم في آيته النفيسة التي يقول فيها : « وفي أنفسكم أفلا تبصرون)

القاهرة زكي المحاسني

الهوامل والشوامل

لأبي حيان التوحيدي

تحقيق الدكتور أحمد أمين بك والأستاذ السيد صقر

من الشخصيات التي أضافت إلى تراثنا الأدبي والفكري ثروة يعتز بها تاريخنا الأدبي ؛ والفكري ـ أبو حيان التوحيدي ـ فقد رزقت هذه الشخصية من القدرة على الأداء الفني الجيل . والتحليل النفسي العميق وإبداع ، آيات فنية لاتزال ترف نضارة على تتابع العصور . لقد وثب فن الأسلوب على يدي — التوحيدي — وثبة لم يستطعها غيره من كتاب النثر الفني القديم ، وبلغ أسلوبه من الصفاء والعمق ما مكن له من أن يحتل الذروة بين أصحاب الأساليب .

ولكن هذه العبقرية قد قست عليها الأقدار فاستهدف صاحبها في حياته لألوان قاسية من البلاء الذي أصابه في رزقه

البريد الأدبي

الرعايا هم العبيد :

أصدر الأستاذ خالد محمد خالد كتيبه الثانى (مواطنون لارعايا) والكتيب — كما يتضح من عنوانه — إحدى صرخات الأستاذ فى سبيل تصحيح الأوضاع الاجتماعية فى هذا البلد

وكان طبيعيا أن يستقر هذا الكتيب فى كل يد ، وأن تلتهم سطوره كل عين ، وكان طبيعيا أيضا أن تلقفه أيدى الأفاضل من علماء الأزهر ، ولا عجب ، فالأمر أمس بهم وأدنى إليهم ، فالمؤلف عالم آثر الانطلاق والتجديد ، على التقييد والتقليد ، وأباح لعقله وفكره أن ينطلقا من إسار المتون والشروح ، والهوامش والحواشى ، إلى فضاء المجتمع المريض ، فعينه تقع على كل دقيقة فيه ، يرى بعض الناس كل الناس ، ومن دق هملا ، قطعانا تسعى إلى ساقط العيش ، وترقل إلى دنئ الرزق ، وما هى بعالئة منه بطنا ، ولا قريرة به عينا ، بل ساغبة لاغبة ، واجفة خائفة ، لا ترى فيما حولها هدوءاً

ولا أمنا ، فأنى لها أن تحسن الظن ؟ أنى ؟ !

وتعرض الأستاذ الفاضل الشيخ عبد المتعال الصعيدى فى العدد رقم (٩٣٦) من الرسالة الغراء للكتيب — أو بعبارة أدق لعنوانه — بالنقد : وكان كل ما أخـــذه على الكاتب أنه لم يكن موفقا فى اختيار كلمة (رعايا) لأن المعنى الذى سيقت إليه فى الكتيب هو الذلة والعبودية ، وهذا يخالف معناها فى كتب اللغة والحديث !

والذى وقع فيه حضرة الناقد ، عين ما أراد المؤلف نفسه على أن تتخلص منه ، وتنفر عنه … !

لم يبحث الأستاذ الناقد عن معنى الكلمة فى قاموس المجتمع الذى يلفظ أنفاسه ، تحت لذعات السياط ، وركلات الأقدام ، ولا فى هذه المزق تشدها إلى بعضها مسكنة تستلم سريعا لعوامل الفناء ، فوق أجساد عجاف !

ولا بين هذه الأكوام الآدمية التى تحظى دائما بامتهاد الفرش الوثيرة على جوانب الشوارع ، حشوها (البلاط والأسمنت والقار) وتسعد دائما بالتحاف الطبقات الرقيقة من نسائم الليل ، تداعب أوصالا تتداعى فى إلحاف إلى الانحلال والفرقة !

لم يبحث الأستاذ الفاضل عن معنى تلك الكلمة بين ذلك

فى مكانته ، ولاحق تراثه بعد أن خلا وجه الحياة منه فأحال بينه وبين الحياة . وظل هذا التراث يعانى مرارة الإهمال ؛ وظلم التشويه هذا الأمد الطويل ؛ فإذا ما رزق — أبو حيان — من نقذ آثاره ؛ ويخلصها من بطش الظلم ؛ ومن براثن الموت ، وينفض عنها غبار القبر ، فقد رد للحياة الجانب الخالد من شخصية الرجل العبقرى . وكانت يد للدكتور — أحمد أمين بك — فى نهوضه بنشر آثاره ، والعناية بإصلاح ما أفسده الدهر من كيانها ، وشوه من معالمها ، حتى شق على النظر إدراكها . وما أشقها من مهمة لمن يدرك ما فيها من صعوبة ، وما تتطلبه من جهد لا يقوى على عمل أعبائه إلا من كان ذا عزيمة لا تهى ؛ وثقافة أدبية ؛ ولغوية واسعة عميقة . وليس هذا مما يتأتى للكثير . وكتاب — الهوامل والشوامل — أثر من آثار — التوحيدى — الناضجة الحية . هو يدور على كثير من الأفكار التى كانت سدى ولحمة النسيج الفكرى والأدبى ، فى بيئة — التوحيدى — وعصره . قد أخذ — التوحيدى — يعرض هـــذه المشاكل الأدبية الفكرية ويجيب عليها — مسكويه — فالكتاب من هذه الناحية

مرآة تعكس أمام أنظارنا التيارات التى كانت تسود هذه البيئة . والكتاب بعد وثيقة تاريخية إذ هو يصور لنا مرحلة من مراحل تفكيرنا الأدبى والعلمى . وهو آية من آيات النثر الفنى من حيث الأداء والتصوير . وللأستاذ — أحمد أمين بك — حسنة لا تجحد بتهيئة الميدان للأستاذ — السيد صقر — وإفساح الطريق أمامه ليتمكن من أن يستغل مواهبه وثقافته فى هـذا الميدان الذى شب وترعرع مولعا به ؛ ممتزا بالسير فيه . فكنت تراه وهو لا يزال فى مطالع بواكير حياته الأدبية يعكف فى — دار الكتب — الساعات الطوال بين المخطوطات القديمة يقرأ : وينقل ؛ ويستوعب ؛ وكانت الثمرة الأولى لهذا المجهود — تحقيق — ديوان علقمة الفحل — والأمل وطيد فى انتظار الآثار التى يقدمها هذا الجندى فى ميدان يشفق الكثيرون من اقتحامه ، وهو ميدان نشر تراثنا نشراً علميا دقيقا

محمد عبد الحليم أبو زيد

دبلوم فى التربية وعلم النفس

كله ، ولكنه آثر أن يبحث عنه فى (القاموس) و (النهاية) و (المصباح المنير) ! وهكذا ظن حضرته أنه قد أمسك بخناق المؤلف ، وورطه وأحرجه أيما توريط وإحراج ! وهو بعد ذلك وقبل ذلك ينحى على الكاتب باللائمة أن صرف وجهه عن هذا المعنى القاموسى ، فهو لذلك مخطئ ، وخطؤه غير مغتفر ، لأنه عالم باللغة ، عالم بالدين . ولا شك أن الأستاذ الصعيدى لم يدفعه إلى لومه هذا إلا حبه للأزهر وحرصه على سمعته وسمعة علمائه ، خشية أن يتمسك الناس بأخطائهم وهم الذين تفترض فيهم الإمامة

ومع ذلك فالمؤلف غير مخطئ ، وعنوان كتيبه ، عنوان الصواب . هو لم يشأ أن ينطلق إلى كتب اللغة يستوحيها معنى كلمته ، لأنه يعلم أن هذا هو مدخل البلاء على الأزهر . . ! فعلماؤه ينفصلون تماما عن الحياة حولهم وما يعتورها من تطور وتغير ، ويؤثرون أن يعيشوا فى جوانبهم الخاصة .

ولكنه طفق يبحث عن معناها بين الشفاه التى قددها الجوع ، والحلاقيم التى جففها الظمأ ، والضلوع التى أيبسها وطوحت بها أعاصير الداء ، لا مقادير القضاء . . !

طفق يبحث عن معناها بين هذه المواكب الحافلة بالبؤس والذلة والشقاء ، والتى أطلق عليها سلفا وجهلا أنها رعية ترعى وشعب يساس

أليس فى أن الأولين يختصون بنصيب من حسن التدبير وحسن الإشراف ، وجميل العناية ، وأن الآخرين أقل من أن يقبل عليهم برعاية ، وأدنى من أن ينظر إليهم بإمعان . . ؟

فأين هذا التدبير الحسن ، وتلك العناية الجميلة . . ؟

أما فى أن تجوع وتعرى أجساد وأكباد ، وأن تلهو وترتع أفراد وآحاد ؟

أما فى أن تقتات الملايين شر القوت ، وتسام جدب المرعى ، وأن تكتظ معد العشرات بدمائهم وعروقهم ودموعهم . . ؟

أما فى تلك المحافل الساهية ليل نهار تسأل وتستجدى . . ؟

أين يا سيدى اللقمة السائغة للمنكوب والمنكود . . ؟

أين الكسوة السابغة للمروق والمكدود . . ؟

أين الجرعة الصافية للمتعوس والمطرود . . ؟

إن الرعايا فى مصر هم العبيد ، والعبيد فى مصر هم الرعايا ، وأنف كل قاموس راغم . . !

أحمد قاسم أحمد

بينى وبين قرائى

تفضل الزميل الصديق الأستاذ عباس خضر فأشار فى كشكوله منذ قريب ، إلى أن بعض القراء قد سأله عن كاتب هذه السطور وسر انقطاعه عن الكتابة . . ولقد أفصح الزميل الصديق عن سر هذا الانقطاع بما لم يعد الحق والواقع

إننى أكتب هذه الكلمة لأؤكد لحضرات السائلين عنى ممن كتبوا إلى الأستاذ عباس وإلى ، أن ما وقع فى ظنهم حول صلتى بالأستاذ الجليل صاحب الرسالة ، كان أبعد من أن يطيقه منطق الصلات الروحية والودية بين الخلص من الأصدقاء !

لقد انقطعت عن الكتابة لأدفع إلى المطبعة بكتابين ، شغل أولهما وقتى بين تقديم الفصول ومراجعة الأصول ، وشغل الآخر قلمى بين التفكير والتحرير . . وبعد أيام سيكون الكتاب الأول بين أيدى القراء ، أولئك الذين طالما كتبوا إلى راغبين فى إصداره . أما الكتاب الثانى فسيكون بين أيديهم أيضا فى الغد القريب

ولا يسعنى بعد أن عدت بقلمى إلى هذا المكان الحبيب ، إلا أن أبعث بشكرى خالصا إلى كل من كتب إلى من مصر والبلاد العربية ، معبرا عن صادق الود وخالص الوفاء

أنور المعداوى

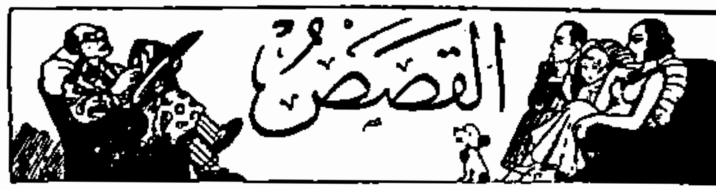
مستقبل الثقافة فى مصر

قرأت فى العدد ٩٣٦ من « الرسالة » الغراء أنه تألفت فى مصر شعبة قومية برياسة معالى الدكتور طه حسين باشا وزير المعارف العمومية لدراسة المسائل المهمة فى ميادين الثقافة والتربية والعلوم ، ودراسة أحوال البلاد فى هذه الميادين وتقديمها إلى الجهات المختصة لتنفيذها أو الاستفادة منها . وإن مجرد التفكير فى مثل هذا الأمر فى الوقت الحاضر ليدل دلالة واضحة على أن معالى الوزير الجليل رأى بفكره الثاقب أن يمهد لمستقبل الثقافة فى مصر طريق الازدهار بتأليف هذه الشعبة للتخلص من أنانية الحياة العقلية فى مصر وجمودها

ولا شك أن هذا رأى سديد ينطوى على إحساس صاحبه العميق بخطورة المجاعة العقلية التى يرزح الشعب تحت أعبائها

لبفيضة فى النصف الثانى من القرن العشرين . وإنا لنأمل أن وفق الشعبة القومية فى تحقيق الأغراض النبيلة التى تألفت من جلها . وفى الواقع أن الحياة العقلية فى مصر الآن تعانى مشكلة ن أ كبر المشاكل ، وهى أنها حياة الخاصة وليس للعامة حياة عقلية بالمعنى الحقيق . ونحن إذا أردنا النهوض بالشعب المصرى وجب أن يصل نور العلم والمعرفة إلى عقول الفلاحين والعمال قبل أن يصل نور الكهرباء والماء النظيف إلى أكواخهم ومساكنهم . وإذا أردنا أن يصل نور العلم والمعرفة إلى ملايين العقول المظلمة ، وجب أن نبدأ أولا بإصلاح البيئات العلمية والمناطق التعليمية إصلاحا شاملا يتناول الأشخاص والأدوات والمناهج والأساليب لتؤدى رسالتها على الوجه الأكمل فى قوة وصراحة وإخلاص ، لأن البحث عن أثر هذه البيئات طوال الثلاثين عاما الأخيرة فى حياة الشعب الاجتماعية يثبت أن الجهود الذى بذلته فى ذلك السبيل أفضى إلى نتائج خطيرة مفزعة : إلى الفقر والجهل والمرض ، إلى الضعف والخلف والتخلف، إلى اللهو واللعب والتحلل ، إلى غير ذلك مما نشكو منه ونتوجع

(سرايبوم) محمد يوسف الغزالي



دموع صغيرة

للأديب محمد أبو المعاطى أبو النجا

كان « رأفت بك » يغادر المحطة واضعا يديه فى جيب معطفه الصوف الثمين وقد رفع ياقته حتى تلتف حول عنقه ، فقد كان الجو شديد البرودة والريح سريعة الهبوب ··· وكان بين حين وآخر يلتفت خلفه ليستعجل الحمال الذى يحمل حقيبته بكلمات مقتضبة. وكان الحمال أو بعبارة أدق الصبي الذى يحمل الحقيبة فى الثامنة من عمره ؛ وكان يعدو خلفه بخطوات سريعة وهو يشعر بنشوة تدفئ جسمه وتسعد خواطره . . . فهو يأمل خيرا فى ذلك الأفندى الأنيق . . . سيعطيه ثلاثة قروش من غير شك؛ فمظاهر الثراء التى تلوح عليه تحمل « حسونة » على أن لا يتنازل عن هذا المبلغ ، وهو مبلغ لا بأس به . سيستطيع أن يشترى « سندوتش » بقرش ويذهب بالباقى إلى السينما . وهكذا يكون مثل محروس الذى لا يفتأ يفخر عليه بأنه يذهب إلى السينما، ويشاهد (الشجيع) وهو فى إمكانه أن يجمع نقودا كثيرة ويذهب بها إلى السينما كل مساء مثل محروس ، لولا أن بقية الحمالين يسبقونه إلى أمتعة الركاب فهم أقدر منه على السير وسط الزحام، وهم أبرع منه فى ركوب القطار أثناء سيره فيقومون بتنزيل أمتعة المسافرين ، وبذلك يكون لهم وحدهم حق المساومة فيها . وهكذا يبقى هو تحت رحمة الظروف . وقد أوشك اليوم أن يمضى دون أن يحمل شيئا لأحد من الركاب لولا أن ساقت إليه الأقدار ذلك الأفندى الأنيق الذى ينزل من القطار دون أن يساعده أحد فى إنزال حقيبته . هو الآن سعيد من غير شك؛ ففى إمكانه شراء « السندوتش » وما دام الوقت عصرا فيمكنه أن يكتفى به عن العشاء، وفى إمكانه أيضا أن يذهب إلى السينما فيرى « الشجيع » ويتعلم منه كيف يقفز إلى القطار أثناء سيره ، وكيف يشق طريقه وسط الزحام ببراعة وقوة ، بل كيف يتغلب على محروس نفسه حين يساومه على حقيبة أحد المسافرين. أليست هى تلك الأشياء التى تعلمها « محروس » من الشجيع ، والتى يفخر بها دائما على « حسونة » ؟ . .

وكفت طيور أحلامه عن التحليق حين وقف « رأفت بك » أمام محل يبيع لعب الأطفال؛ فقد نسى لكثرة مشاغله أن يشترى شيئا منها لأبنائه من القاهرة ، وهو لا يستطيع أن يدخل عليهم بدون أن يحمل لعبهم المفضلة ··· ووقف « حسونة » يتأمل اللعب فى سذاجة الأطفال، ويبدو أنها قد أعجبته إلى حد كبير فقد نسى أن يضع الحقيبة عن كتفه أثناء شراء اللعب !

وسار « رأفت بك » من جديد يتبعه « حسونة » ··· ولكن خواطره فى هذه المرة كانت تختلف تماما عن ذى قبل ··· إن الطفل الراقد فى أعماقه ··· الطفل المستتر خلف هذه الثياب الخلقة

التى مزقتها أنواء الحياة ... الطفل الذى قست عليه ظروف المجتمع فحرمته لعبه حين حرمته أبويه ... هذا الطفل قد تنبه فجأة ليهتف بحق ضائع، حق ضاع فى غمار ذلك المجتمع الذى تضيع فيه حقوق اليتامى والمشردين ... وهتف فى صمت : ما أجمل اللعب وما أجمل ...وما أجمل أن تكون له إحداها !

واستقرت نظراته على حصان من المطاط جميل يحمله « رأفت بك » فيما يحمل من لعب . ما أروع أن يكون هذا الحصان له! إذن لواصل النفخ فى ذيله المثقوب حتى يكبر ويستوى حصانا كاملا ، ثم يضعه أمامه ويتأمله بعين فرحة هى عين طفل !

ليت ذلك الأفندى يعطيه إياه بدلا من أجرته! وهم بأن يسأله ذلك لولا أن تذكر فجأة أن ثمنه أكثر من أجرته ...

واستولت عليه الدهشة حين أعطاه « رأفت بك » جميع اللعب ليحملها بدلا عنه ... لم يخطر بباله مطلقا أنه فعل ذلك ليتسنى له وضع يده فى جيب معطفه ، وإنما تساءل فى حيرة أتراه أدرك رغبته فى التفرج على تلك اللعب ؟

أتراه فهم تلك الرغبة من نظراته القلقة التى كانت تتردد بين اللعب والطريق منذ غادر المحل ؟ مهما يكن من شئ فهو سعيد مادامت تلك اللعب ملء حضنه الصغير، وما دام ذلك الحصان قد وجد فى يده يتحسس جلده الناعم فى شغف كبير !

كانت تلك هى المرة الأولى التى تمنى فيها « حسونة » أن يطول الطريق ! وكانت تلك هى المرة الأولى أيضا التى مضى فيها الطريق بسرعة !

وكان حسونة يشعر بضيق نفسى غامر حين ضغط «رأفت بك» « زر » الجرس الكهربائى فى شقته . . . وانفرج الباب عن وجوه صغيرة فضة كانت تستبق إلى رأفت بك ، فهذا الصغير يطوق عنقه فى لهفة ، وذاك يثب على كتفيه فى مرح، وذلك يهتف فى غبطة : ماذا أحضرت لنا يابابا ؟

وهنا التفت رأفت بك إلى الحمال الصغير ليأخذ منه اللعب ، وهنا أيضا كان « حسونة » هدفا لمشاعر مختلطة مبهمة بدت حيرة فى عينيه واستحالت وجوما على شفتيه، مشاعر لم يتضح منها فى خاطره غير تلك الرغبة الملحة فى أن تكون له لعبة كهؤلاء الأطفال، أليس هو مثلهم ؟ بل إن فيهم من يكبره !

وانحسرت موجة الشاعر المختلطة عن عواطفه حين أعطاه « رأفت بك » قطعة فضية من فئة الخمسة قروش حدق فيها ببلاهة ثم قال له ليس معى « فكة » يا بك . . . . ولكن البك الذى تأثر بوجومه وانقباضه قال له فى عطف وهو يربت على كتفيه

ـ كلها لك ياشاطر . . . !

وضم حسونة يديه معا على القطعة الفضية وجعل يتأمل وجه الأفندى الأنيق بذهول ثم تمتم بعبارات متقطعة ...

ـ ربنا يخليك يابك ...

وسار فى الطريق من جديد. كان شئ واحد هو الذى يتمثل فى خاطره ، الحصان الجميل . . . وكان سؤال واحد هو الذى يلح عليه

ـ ماذا يمنعه الآن من شراء الحصان ... ؟

ومضت لحظات قصيرة . . . كان بعدها يمسك بحصان المطاط ويضم ذيله المثقوب فى فمه الصغير وينفخ فيه على رغبته .. حتى إذا استوى حصانا كبيرا جعل يتأمله فى مرح طافر . ثم طاف بذهنه خاطر جميل : لماذا لايذهب إلى المحطة ليتفرج عليه صاحباه « عطوة » و « أمين » ؟ ولماذا لا يريه لمحروس ؟ ويزهى عليه به !

وجعل يعدو تجاه المحطة وكله فرح وسعادة . وبعد حين من العدو تقاربت خطواته وبدأ يتمهل فى سيره ...

كان يشعر بأنفاسه تتلاحق، وبأعصابه توشك أن تتفكك ، وبعينيه يكاد أن يختنق فيهما النور ...

كان هناك إحساس آخر بدأ يشعر به ؛ إحساس لم يراوده منذ حين ... منذ مر مع الأفندى الأنيق ببائع اللعب ... إحساس بالجوع ... !!

ونظر حسونة إلى الحصان فى ضيق هائل وانهال عليه بأسنانه يمزقه ثم ألقى به بعيداً فى غيظ

وتابع خطواته المتخاذلة تجاه المحطة وهو يذرف فى صمت حزين دموعا صغيرة !

محمد أبو المعاطى ابو النجا